الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص : العلوم الإسلامية ومناهج البحث

منهج الطاهر بن عاشور في توظيف معهود العرب في " تفسير التحرير والتنوير "

إعداد الطالب :

محمد الأمين غماري

إشـــراف الدكتور:

الشيخ خليفي

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د سيب خير الدين	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
د. خليفي الشيخ	أستاذ محاضر – أ -	جامعة تلمسان	مشرفا ومقرراً
د. بلخثير بومدين	أستاذ محاضر – أ -	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا
د. يوب بوسيف مختارية	أستاذة محاضرة – أ -	جامعة تلمسان	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 1435-1436هـ / 2015-2016 م

إهـــــداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى كل من كان له أثر في حياتي في الصغر و الكبر.

إلى كل من نصحني وعلمني وأرشدني إلى الصراط المستقيم.

إلى أبي وأمي اللذان مهما شكرتهما لم أوفي.

إلى زوجتي وأبنائي الذين صبروا عليّ حيث ضيعت حقهم لأجل إتمام هذا العمل.

إلى كل من علّمني معلمين وأساتذة وأساتذة جامعيين.

وأخيرا إلى كل من يحمل هم هذه الأمة ويتالم لأجلها ويسعى في رُقيها واستعادة مجدها الضائع.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

شكر وعرفان

مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم :﴿لا يشكر الله من لا يشكر الناس﴾. فإني أعبر عن شكري وامتناني لأستاذي المشرف الدكتور الشيخ خليفي على إعانتي على كتابة هذه المذكرة، الذي لم ينأ جهدا في توجيهي التوجيه الصحيح، وإعانتي على كل عائق عرض لي، ومساعدتي بكل مرجع غفلت عنه أو لم أقدر على تحصيله، فكل مساعداته المادية أو المعنوية كانت ضرورية لي في اتمام هذا البحث على أحسن وجه، فتوجيهاته العلمية والمنهجية كان لها الأثر الواضح على البحث، فجزاه الله خير الجزاء عني وعن سائر الطلبة.

كما أتقدم بالشكر للأستاذة بولخراص المقترحة لهذا الموضوع، فكانت السبب الأول في مباشرتي لهذا العمل، فجزاها الله خيرا.

كما أتقدم بالشكر والعرفان لهيئة التدريس في شعبة العلوم الإسلامية، لما بذلوه من جهد في سبيل تكويننا علميا ومنهجيا إلى أن بلغونا الغاية المنشودة لكل طالب في الدراسات العليا، والحمد لله على فضله.

كما أتقدم بالشكر لأعضاء اللجنة المناقشة، الذين أعلم أنهم لا تأخذهم في حق العلم والمعرفة لومة لائم، فأكون شاكرا لهم غاية الشكر في بيان نقائص البحث، فأستدركها، فما من عمل إلا وعليه مآخذ، وكل عمل بشري يعتريه النقص والغفلة والنسيان، فتكون انتقادات أعضاء اللجنة المناقشة هدية غالية لكل طالب علم يطمح أن يخوض غمار البحث بكل موضوعية.

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده ورسوله القرآن الكريم، وضمن له ولأمته حفظه من التبديل و التحريف، والذي جعل معانيه تسع كل القضايا عبر العصور والأزمان، أنزله على محمد صلى الله عليه و سلم بلسان عربي مبين، في مجتمع العرب العارفين باللسان، سليقة منهم فأدركوا معانيه من غير تكلف ولا عناء، فعلموا مقصود الشارع الحكيم من نهي وأمر وإلزام على معهودهم في فهم الخطاب.

لما نصر الله دينه وأتمَ وعده وفتحت البلدان والأمصار شرقا وغربا ودخل النَاس في دين الله أفواجا من العجم الجاهلين باللسان، كان لزاما على الأمم الأخرى تعلم اللسان العربي لفهم معاني القرآن والسُنة مع مراعاة معهود العرب في تلقي و فهم الخطاب.

لقد نبَه العلماء على هذه الجزئية – معهود العرب- وبيَنوا ضرورة التفطُن لها ومراعاتها، ولعل أول من صرح بذلك في مؤلفاته، هو الإمام الشافعي في كتابه الرسالة، كما بين ذلك الإمام الشاطبي في كتابه الموافقات، ودرج من بعده علماء الأصول على ذلك.

ومن العلماء المجتهدين المتأخرين الذين بيَنوا أهمية مراعاة معهود العرب في فهم الخطاب، هو الإمام الطاهر بن عاشور في مؤلفاته، ولعل سبب ذلك تضلعه في اللغة العربية وعلومها وعلم أصول الفقه، فوظف ذلك في أبحاثه ومؤلفاته ولعل أهم كتاب أبرز فيه هذا الجانب هو تفسيره "التحرير والتنوير".

الإشكالية:

بناء على ما تقدم يمكن أن نخلص إلى الإشكال التالي: ما هو منهج الطاهر بن عاشور في توظيفه لمعهود العرب في تفسيره "التحرير والتنوير"، والذي تفرعت عنه مجموعة من التساؤلات هي :

- ما هو مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور؟
- وما موقفه من مراعاته في فهم الخطاب القرآني؟

- ومدى تأثير ذلك في فهم معاني النصوص والأحكام الشرعية؟

أهمية الموضوع:

تتمثل أهمية الموضوع في بيان قيمة البحث بالنسبة للدراسات الشرعية، وما مدى حاجة طلبة العلوم الشرعية إلى هذا النوع من البحوث، وكيف أنه يساعد في فهم القرآن وفقه معانيه، وبيان أنه منهج الأولين من هذه الأمة من الصحابة والتابعين وأئمة مهديين، من الأولين والآخرين، ومن خالف هذا الأصل زلَ عن الفهم الصحيح للنصوص الشرعية.

أسباب اختيار الموضوع:

يمكن تقسيم أسباب اختيار الموضوع إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أ/ الأسباب الذاتية:

- ميولي للدراسات الأصولية واللغوية.
- اهتمامي البالغ بعلماء المغرب وبيان مكانتهم العلمية وتحقيقاتهم النادرة.
- الرغبة في اكتساب رصيد علمي أصولي وذلك بالنظر في مدونات علماء الأصول وخاصة علماء المغرب.

ب/ الأسباب الموضوعية:

- بيان مراد الشارع تبارك وتعالى من الخطاب القرآني.
- الوقوف على منهج الإمام الطاهر بن عاشور في توظيفه لمعهود العرب.
- إبراز القيمة العلمية لمبدأ مراعاة معهود العرب وأثره في بيان معاني القرآن والسُنة واستنباط الأحكام الشرعية منها.

أهداف الموضوع:

ويمكن بيان أهداف هذا الموضوع في النقاط التالية:

أولا: بيان اهتمام علماء المغرب العربي بالمسائل اللغوية والأصولية المهمة والمؤثرة في المعاني واستنباط الأحكام.

ثانيا: بيان موقف الطاهر بن عاشور في مراعاته لمعهود العرب.

ثالثا: إستقراء الأمثلة الواردة في تفسير الطاهر بن عاشور والتي لها صلة بمعهود العرب على سبيل التمثيل، لا على سبيل الحصر.

رابعا: بيان القواعد والأسس التي يجب استحضارها عند توظيفه حتى لا نقع في الخطأ.

منهج البحث:

اقتضت مني طبيعة الموضوع أن أُوظف المنهج الوصفي وذلك في حدود استطاعتي لمسح كل ما ورد في أهم مؤلفات الشيخ التي تُعنى باللغة والأصول، مستعينا بالمنهج الاستقرائي لأجل جمع وتتبع الأمثلة الواردة في مؤلفاته خاصة تفسيره "التحرير والتنوير" واستعملت المنهج التحليلي وذلك لبيان ضوابط وقواعد الأخذ بمعهود العرب قدر المستطاع عند الطاهر بن عاشور.

منهجية الدراسة:

عمدت إلى تخريج الأحاديث الواردة في البحث تخريجا علميا مختصرا، وترجمت لبعض العلماء المذكورين في المتن بترجمة موجزة، مع الإحالة إلى مصادر الترجمة، وتركت بعضهم إما لاشتهارهم أو لعدم عثوري لهم على ترجمة لكونهم من العصر الحديث أو لعدم توفر بعض المصادر، وشرحت بعض الألفاظ الغامضة الواردة في متن البحث، والإحالة إلى المصادر في ذلك.

وختمت البحث بفهارس علمية تسهل الرجوع إلى محتواه، وهي: فهرس الآيات القرآنية، وفهرس الأحاديث والآثار، وفهرس الأعلام المترجم لهم، وفهرس المصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات، ورتبت محتوياتها ترتيبا أبجديا إلا فهرس الآيات القرآنية، فقد رتبته على سور القرآن الكريم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والنظر في الفهارس المهتمة برصد عناوين رسائل الماجستير والدكتوراه، وبعد اتصالي بالأساتذة المتخصصين، تبين لي -في حدود اطلاعي- أن منهج الطاهر بن عاشور في توظيفه لمعهود العرب لم يحض بدراسة مستقلة أفردته بالبحث – في حدود إطلاعي - إلا بعض الدراسات التي لها صلة بالموضوع من الناحية الأدبية اللغوية أو اللسانية، حيث قام أصحابها بدراسة تفسير "التحرير والتنوير" دراسة لغوية، ومن هذه الدراسات:

1- أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير – رسالة دكتوراه – إعداد مشرف بن أحمد جمعان الزهراني- إشراف أ.د:أمين محمد عطية باشا-جامعة أم القرى، نوقشت هذه الأطروحة في جامعة أم القرى سنة: 1426هـ/1427هـ، وكان محور البحث فيها الدلالات اللغوية في تفسير التحرير والتنوير، وجل ما استفدته منها هو بيان القوة اللغوية التي تميز بها الطاهر بن عاشور، وذلك ببيان المعنى وبلوغا إلى كشف مكنونه العميق وكذا بيان إعجازه وتفرده الدلالي، وأعانتني هذه الرسالة في الوقوف على بعض الأمثلة التي لم يهمل فيها الطاهر بن عاشور معهود العرب في بيان المعاني في تفسيره.

2- التحليل اللغوي في تفسير بن عاشور(دراسة منهجية وتحليلية لنماذج من سورتي البقرة وآل عمران) - رسالة دكتوراه – إعداد: صالح سبوعي- الجامعة الإسلامية العالمية ماليزيا- مايو 2005م، نوقشت هذه الأطروحة في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا سنة 2005م،

وقد اعتنى الباحث في أحد فصول بحثه في بيان أهمية معرفة اللغة العربية وطرائق استخدامها وفق معهود أهلها، فكان معينا لي بشكل كبير.

3- تفسير ابن عاشور التحرير والتنوير(دراسة منهجية ونقدية)- رسالة ماجستير- إعداد: جمال محمود أحمد أبو حسان- إشراف أ.د: فضل حسن عباس- كلية الدراسات العليا بالجامعة الأردنية- 1991م.

4- الطاهر بن عاشور وجهوده البلاغية في ضوء تفسيره التحرير والتنوير(المعاني والبديع)- رسالة ماجستير- إعداد: رانيا جهاد اسماعيل الشوبكي- إشراف أ.د: محمد شعبان علوان- 2009م.

أما البحث الثالث والرابع فقد تعرض الباحثان في أحد فصول البحثهما إلى القضايا اللغوية والبلاغية في تفسير بن عاشور، فاستفدت ما أظهره الباحثان من عناية الطاهر بن عاشور باللغة والبيان.

وأما المقالات الموجودة في المجلات المحكمة فهي:

1-" **استدلال المفسرين بعادات العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم –دراسة تطبيقية-**" – د.عبد الرحيم الشريف مجلة الشريعة و الدراسات الإسلامية – جامعة الكويت – مجلد : 28 – عدد : 94 – 2013م .

هذا المقال تطرق لجزئية معهود العرب وتوظيف عموم المفسرين لها في بيان معاني القرآن.

2-" **عادات عربية في ضوء القرآن الكريم**" للأستاذ الدكتور عبد الفتاح محمد خضر، وهي عبارة عن بحث منشور في العدد الثالث من مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية (1428هـــ).وذكر فيها عددا من عادات العرب، ومن ثم بين موقف القرآن الكريم منها : بإقرار الجيد منها ،وتهذيب ما يحتاج ذلك، ورفض القبيح، إلا أن الباحث لم يتطرق إلى أثر هذه العادات في فهم النص الشرعي الذي هو لب الموضوع.

3- **"عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم"** – د.عبد الفتاح خضر – مجلة البحوث و الدراسات القرآنية – العدد : 6 – السنة الثالثة .

إلا أنه يلاحظ على هذه الدراسات - على قيمتها – أنها ركزت على الجانب اللغوي دون بيان للجزئية التي هي موضوع بحثنا المتمثلة في أثر عادات العرب في بيان معنى النص.

إلا أن هذه الدراسات ستكون مُعينة لي في بحثي، من جانب ما أظهرته هذه البحوث من إعتناء الطاهر بن عاشور باللسان العربي والبيان في تفسيره، ومما يلاحظ على هذه الدراسات أيضا أنها دراسات عامة لم تخص مفسرا بعينه فضلا عن الإمام الطاهر بن عاشور، إلاَ أنها تناولت جزئية مهمة من البحث.

ومن هنا تأتي ضرورة إفراد منهج الطاهر بن عاشور في توظيف معهود العرب في دراسة مستقلة، تجمع شتاته و توضح غموضه، مضيفا للدراسات السابقة أثر عادات العرب في تفسير نصوص القرآن.

محتوى الدراسة:

اقتضت مني طبيعة الموضوع أن أجعله في مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة.

ففي **الفصل التمهيدي** تناولت ترجمة موجزة للطاهر بن عاشور، وأيضا التعريف بتفسير "التحرير والتنوير"، وفيه مبحثان.

المبحث الأول: تناولت فيه ترجمة موجزة للطاهر بن عاشور. وجعلنا فيه مطلبان.

فأما المطلب الأول: ذكرت فيه نشأته وطلبه للعلم.

وأما المطلب الثاني: ذكرت فيه آثاره و وفاته.

وأما المبحث الثاني: تناولت فيه التعريف بتفسير "التحرير والتنوير". وجعلنا فيه مطلبان.

فأما المطلب الأول: فخصصته لسبب تأليفه ومكانته العلمية بين التفاسير.

وأما المطلب الثاني: تعرضت فيه لمنهجية المؤلف في تأليف.

وكان الغرض من هذا الفصل التنبيه إلى تكوين الطاهر بن عاشور، ومدى تأثره بمعاصريه الموجودين في الساحة العلمية، وبيان القيمة العلمية لتفسيره التحرير والتنوير.

أما الفصل الأول: فجاء بعنوان معهود العرب مفهومه وضوابطه، وهو عبارة عن الجانب النظري للدراسة واشتمل على مبحثين :

المبحث الأول :بين المقصود بعادات العرب وأنواعه. وجعلنا فيه مطلبان.

أما المطلب الأول: تناولت فيه مفهوم معهود العرب عند أأصوليين و المفسرين.

وأما المطلب الثاني: تعرضت فيه إلى ذكر أنواعه.

والمبحث الثاني :وضح أهمية العلم بعادات العرب في التفسير مع بيان الضوابط المنهجية في الاستعانة بمعهود العرب، وفيه مطلبان.

أما المطلب الأول: ففيه بيان العادات المؤثرة في معنى الخطاب.

وأما المطلب الثاني: ففيه بيان أثر السياق في معنى النصوص، ومدى علاقته بمعهود العرب.

أما الفصل الثاني: فخصصناه لبيان الجانب النظري و التطبيقي في الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور، واشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : تناولت فيه الجانب النظري في الاستعانة بمعهود العرب لدى الطاهر بن عاشور. وجعلنا فيه مطلبان.

أما المطلب الأول: حاولنا فيه بيان مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

وأما المطلب الثاني: حاولنا فيه استخراج الضوابط المنهجية للاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

المبحث الثاني : نورد أمثلة تطبيقية في توظيف الطاهر بن عاشور لمعهود العرب في تفسيره "التحرير والتنوير".

وخاتمة : نبين فيها أهم نتائج البحث.

وأخيرا أتقدم بالشكر لأساتذة لجنة المناقشة، وأتقدم بالشكر خاصة للمشرف الدكتور خليبي الشيخ، ولكل الجهود التي بذلها لأجل إتمام هذا البحث وإخراجه على أحسن وجه.

كتب الطالب:أبو زكرياء محمد الأمين غماري.

يوم 25 نوفمبر سنة 2015م سيدي العبدلي تلمسان.

فصل تمهيدي

التعريف بالطاهر بن عاشور

وتفسيره "التحرير والتنوير"

الفصل التمهيدي :

التعريف بالطاهر بن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير".

المبحث الأول : الطاهر بن عاشور عصره وحياته.

المطلب الأول : عصره.

أولا–الأوضاع السياسية.

ثانيا–الأوضاع الاقتصادية.

ثالثا–الأوضاع الثقافية.

المطلب الثاني: حياته.

أولا–مولده ونسبه.

ثانيا–نشأته العلمية.

ثالثا–منزلته العلمية ومناصبه.

المبحث الأول : الطاهر بن عاشور عصره، وحياته.

المطلب الأول: عصره.

أولا: الأوضاع السياسية:

لقد عاش الطاهر بن عاشور في حدود القرن التاسع عشر، الذي تميز بغلبة الكفار على المسلمين واستعمار بلادهم بالقوة، فكان زمن بداية ضعف وانهزام رهيب على الأمة الإسلامية، مما كانت نتيجته مدمرة على الأمة، يقول بلقاسم الغالي في هذا الأمر :"إن العالم الإسلامي في عصر الشيخ محمد الطاهر بن عاشور قد ازدادت دوله تشرذما وانقساما ،فالسياسة فيه نزاع بين الأمراء ،وكل أمير له عصبيته ،وكل واحد منهم يتربص الدَائرة بخصمه ،والأوضاع متدهورة و المواطن المسلم صار ضعيف الشخصية نتيجة توالي الاستبداد، وشل الخوف والإرهاب ذكاءه، ففقد روح المبادرة وأبعد عمدا عن الاشتراك في الشؤون السياسية والاقتصادية والاجتماعية ."[1]

كما إن تونس جزء لا يتجزأ من أمة الإسلام فقد أصابها ما أصاب الأمة، فالبلاد التونسية ترزح تحت وطأة الديون الخارجية، وكان العبث والفساد والارتشاء قد عم حكام البلاد، وأثقل كاهل التونسيين بالضرائب، وضعف نفوذ العثمانيين التي انحلت إلى دويلات هزيلة لا هم لحكامها إلا التبذير، وتوغل النفوذ الأجنبي داخل البلاد وكثرت الفتن،[2]ولقد علق على الوضع السائد في البلاد التونسية الحبيب بن خوجة بقوله:"وبدت تونس فيه

---

[1] من أعلام الزيتونة-شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره- بالقاسم الغالي- ط1،دار ابن حزم،1417هـ-1996م:ص17.

[2] المصدر نفسه:ص18.

مسرحا لتطورات سياسية واجتماعية وفكرية :علمية وثقافية وفيه النكبة الفادحة التي قصمت الظهر، باحتلال الجيش الفرنسي لبلادنا وإبرامه معاهدتي باردو والمرسى بين السلطتين القائمتين بالبلدين فرنسا وتونس وقد أثارت هذه الصدمة اضطرابات ومظاهرات أدت إلى مواجهة الاحتلال الأجنبي، وبسبب الذهول الذي أصاب الناس يومئذ ألح الخوف والحزن على بحث أسباب هذه المحنة، في كامل سلطنة الدولة العثمانية وبخاصة ما حصل بها من آثار في البلاد التونسية بسقوط دولة الخلافة." [1]

ففي خلال هذه الفترة القصيرة من عمر التاريخ التي يلتقي طرفاها على نحو قرن من الزمن انحسرت الأيام عن أحوال واضطرابات وأوضاع وانتكاسات ،زلزلت العالمين الإسلامي والعربي بسبب ما حاق بالدولة العثمانية، من تداع وتفكك وضعف ووهن، فانفرطت ولايتها واحتجب سلطانها، ودخلت الواحدة تلوى الأخرى تحت هيمنة الغرب والحكم الأوربي وأطاحت القوات الانفصالية جمعية الإتحاد والترقي، وحزب تركيا الفتاة بباقي هياكل الخلافة، وزحفت الدول الاستعمارية على البلاد العربية وتحولت الخارطة السياسية للولايات العثمانية، وأصبحت مناطق نفوذ أجنبي فرض نفسه عليها، حين فقدت المنعة الذاتية والحامي والنصير .[2]

ومن الظروف السياسية البارزة والمؤثرة في تونس في كل المجالات؛ هو عزل الوزير المصلح خير الدين باشا من مناصبه، حيث قام محمد صادق باشا باي الثاني عشر عزله عن رئاسة اللجنة المالية وبفصله عن مراكز النفوذ في بلاده واضطراره للاعتزال عنها، فخلى الجو لمنافسيه فتفاقمت الأزمات من بعده وفق ما وضعوه من مخططات وارتأوه من مبادرات

---

[1] شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور –محمد الحبيب بن خوجة،دط،الدار العربية للكتاب تونس، 2008م: ج1ص18-19

[2] المصدر نفسه: ج1-ص43 بتصرف.

مشبوهة وهكذا استفحل الأمر بعد ذلك، باختلال ميزان الدولة أكثر مما كان عليه، وبمزيد من حرص الباي وحاشيته على الاقتراض من الدول الأوربية، وفرضت الجبايات المجحفة على الشعب وظهرت الفتن والثورات في أطراف البلاد وعمت البلاد الفوضى واكتنفت الناس الحيرة والمخاوف آخر الأمر بانتصاب الحماية الفرنسية، واستلاب السيادة القومية، وقيام حكم جديد في البلاد أساسه الطمع والحقد، ومرت لتحقيق ذلك أحداث وأحداث أتت على الأخضر واليابس استمرت من 1298هـ-1881م إلى إعلان الاستقلال وخروج البلاد من محنتها سنة 1375هـ-1956م.[1]

من هذا الوصف لتلك الفترة الزمنية من قبل معاصري محمد الطاهر بن عاشور تتضح لنا أمور مهمة لعلها تكون مؤثرة من قريب أو من بعيد على شخصيته العلمية الدعوية، منها الحنين إلى المجد الضائع والأسى على سوء الحاضر، والنظر في الأسباب المباشرة والغير مباشرة في هذه النكسة، والبحث على حلول لإخراج الأمة من هذه الأزمة، بنضال مستمر وإرادة صلبة وهمة عالية، ولقد تجلت انعكاسات ذلك واضحة في مشواره الإصلاحي، ومشروعه الذي ناضل لأجله طويلا وهو إصلاح التعليم عموما والزيتوني خصوصا.

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية:

الأوضاع الاقتصادية في تونس لا تقل سوءا عن الأوضاع السياسية، إذ بينهما تلازم لا ينفك عادة، فإذا ساءت الأوضاع السياسية تبعتها الأوضاع الاقتصادية سوءا، قال بلقاسم الغالي :"كان عصر ابن عاشور عصر اضطرابات وفتن فالبلاد التونسية ترزح تحت وطأة الديون الخارجية وكان العبث والفساد الارتشاء قد عم حكام البلاد وأثقل كاهل التونسيين

[1] شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور –محمد الحبيب بن خوجة:ج1ص44 بتصرف.

بالضرائب وضعف نفوذ الخلافة العثمانية التي انحلت إلى دويلات هزيلة."[1]وأضاف مبينا الحالة المزرية للوضع الاقتصادي بقوله :"ولقد تفشى الجهل في المجتمع التونسي وعمت الفوضى وساءت الحالة الاقتصادية للأفراد والدولة، وفر الوزير مصطفى بن عياد بأموال الشعب إلى فرنسا.... ومنها وضع الميزانية التونسية تحت الرقابة الأجنبية لضمان حسن التصرف ،حتى يتمكن من خلاص الديون الخارجية،ورغم الدعوات الإصلاحية التي تنادي بالنهضة في جميع شؤون المجتمع ،إلا أن هذه الحركات الإصلاحية سرعان ما اصطدمت بأنواع من الصعوبات الداخلية والخارجية، سقطت بسببها البلاد في حالة من الدمار والخراب والفوضى، وأحاطت بها عوائق الحرب الأهلية والمجاعات والأوبئة، فأفضت هذه الحالة المزرية إلى الانتقاص من استقلالها إذ دخلت أموالها بسبب ذلك تحت الرقابة الأجنبية."[2]

حقا إنها لمأساة حقيقية أن يسيطر العدو على إدارة أموالك وأن يكون رقيبا على إدارة شؤون بلادك، يعاملك معاملة الكبير للصغير، أو معاملة المالك للعاملين في ملكه، فمن واجب الحكومات العربية الإسلامية تصفية الاستعمار نهائيا، وعدم الاكتفاء بإخراج العدو من البلاد فقط، يجب أيضا تصفية الاستعمار إقتصاديا، سياسيا، وثقافيا وهو الأهم بتثبيت مقومات الأمة وترسيخ ثوابتها وهويتها، من انتماء وطني، والدين واللغة، بذلك تكتسب الأمة استقلالا في شخصيتها فتنجو من التبعية والانصهار في الأمم الأخرى.

ثالثا: الأوضاع الثقافية:

لقد كان الوضع السائد في العالم الإسلامي زمن الطاهر بن عاشور ركود علمي ملحوظ وجهل كبير بالإسلام ومبادئه لدى الشعوب الإسلامية، كان سببه ضعف المسلمين

---

[1] شيخ الجامع الأعظم -.بلقاسم الغالي-ص17.

[2] المصدر السابق: ص18.

أولا والهجمة الشرسة من الغرب على العروبة والإسلام بلغة النار والحديد وبسياسة التجهيل ثانيا،غير أن نهضة شاملة في أطراف البلاد الإسلامية والعربية قامت تهيئ أصحاب هذه الأوطان إلى تدارك الأوضاع، وإلى العمل بحزم على استرجاع السيادة والكرامة.[1]

وهكذا ظهرت في المشرقين الأقصى والأدنى حركة إصلاحية ونهضة فكرية شاملة، و من روادها في تونس: السيد خير الدين باشا، وابن أبي الضياف، ومحمود قابادو، والشيخ سالم بوحاجب، وتمثل التحرك الفكري النهضوي في المرحلة الثانية في الجزائر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كما ظهر في المغرب الأقصى أحد طلائع الفكر الإسلامي، وفي المرحلة الثالثة ظهرت ثلة من رجال الفكر والبيان بالشام والعراق.[2]وإنه لمن الطبيعي أن يكون هناك تأثير وتأثر للشيخ الطاهر بن عاشور بهذه المدارس الإصلاحية وبعلمائها.

ولقد ظهر تأثر الطاهر بن عاشور بالحركات الإصلاحية في مقالاته ومؤلفاته وفتاويه، ولعل من أبرز ما يدل على ذلك ما طرحه في كتابه "أليس الصبح بقريب" من مشروع إصلاحي من إصلاح التعليم عموما وإصلاح التعليم الزيتوني خصوصا لمسايرة مستجدات العالم الحديث، حيث حاول الكشف عن أسباب ضعف التعليم وتأخر العلوم في زمانه.[3]

إن هذه الجزئية من البحث –الأوضاع الثقافية- هي الكاشفة عن تكوين شخصية الطاهر بن عاشور، ومدى تأثره بمحيطه الثقافي، فتكون منطلقا لرسم مساره، لأن تكوين الشخصية العلمية والثقافية للعالم تأثر في منهجه الإصلاحي والدعوي ،لذا يحسن ذكر المدارس الإصلاحية وزعمائها بشيء من التفصيل، لنطلع أكثر على المناهج الدعوية التي احتك بها الطاهر بن عاشور.

---

[1] ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر- الحبيب بن خوجة:ص19.

[2] ينظر: المصدر نفسه:ص20.

[3] ينظر: شيخ الإسلام الإمام الأكبر- الحبيب بن خوجة:ج1 ص36 .

فأما الكوكبة المشرقية من العلماء والدعاة، فهي متمثلة في جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده صاحبا "العروة الوثقى" وثالثهم محمد رشيد رضا الذي لحق بشيخه إلى مصر وشاركه الكتابة في "العروة الوثقى" قبل تأسيسه لمجلة "المنار"، ورابعهم شكيب أرسلان.

1-جمال الدين الأفغاني:

قال شكيب أرسلان:"ولد جمال الدين الأفغاني في مطلع القرن التاسع عشر في "أسد آباد" بالقرب من همذان في بلاد فارس، وهو أفغاني لا فارسي،كان سيد النابغين الحكماء، وأمير الخطباء البلغاء، وداهية من أعظم الدهاة، دامغ الحجة قاطع البرهان، ثبت الجنان، متوقد العزم، شديد المهابة، كأن في ناسورته أسرارا مغناطيسية، فلهذا كان المنهاج الذي نهجه عظيما وكانت سيرته كبيرة، فبلغ من علو المترلة في المسلمين ما قل أن يبلغ مثله سواه، وكان سائحا جوالا، طاف العالم الإسلامي قطرا قطرا .... والتحق جمال الدين بالرفيق الأعلى سنة 1896م شيخا وعاملا كبيرا في سبيل النهضة الإسلامية حتى النفس الأخير من أنفاسه."[1]

ولقد كانت مجلة العروة الوثقى التي تولى إصدارها بمشاركة محمد عبده له بباريس، الصحيفة الذائعة الناشرة لأفكاره والداعية إلى نهضة العالم الإسلامي واتحاده، وإلى الثورة على الاستعمار وقد سارت على نهج العروة الوثقى مجلة ضياء الخافقين، التي كانت تصدر عنه باللغة العربية والإنجليزية أيام إقامته ببريطانيا.[2]

---

[1] حاضر العالم الإسلامي-لوثروب ستودارد-ت: شكيب أرسلان وعجاج نويهض،دط،دار الفكر ،1391هـ-1971م: ج1ص305.

[2] ينظر شيخ الإسلام الإمام الأكبر- الحبيب بن خوجة: ج1ص68-69.

أما الاتصال الفكري بين الطاهر بن عاشور وجمال الدين الأفغاني فكان عن طريق قراءة ما كان يكتبه جمال الدين الأفغاني في العروة الوثقى وباقي مقالاته الهادفة إلى إيقاد الهمم وتوعية الشعوب من خطر الاستعمار المدمر على الأمة، كما أننا نجد أن هناك اتصال مباشر بين العروة الوثقى والمصلحين التونسيين، إذ نجد أعضاء تونسيين لجمعية العروة الوثقى، نذكر منهم: محمد بيرم الخامس، محمد السنوسي، الشيخ محمد النجار، الشيخ سالم بوحاجب، الشيخ أحمد الورتاني، الشيخ محمد الطاهر جعفر، الشيخ حسونة مصطفى، الشيخ الشاذلي بن فرحات.[1]

فبوجود هؤلاء الأعضاء في جمعية العروة الوثقى قوي الاتصال المعرفي والفكري بين علماء تونس وعلماء المشرق عموما وبين الطاهر بن عاشور خصوصا.

2-محمد عبده:

هو الأستاذ الإمام محمد عبده حسن خير الله ولد سنة 1266هـ-1849م وتوفي سنة 1323هـ-1905م فقيه أزهري.

تخرج من الجامع الأحمدي بطنطا، و من الأزهر بالقاهرة، وكان من أساتذته جمال الدين الأفغاني، صاحبه ابتداء من 1287هـ-1871م [2].

أما الاتصال الفكري والإصلاحي، بين محمد عبده وبين الطاهر بن عاشور كان عن طريق زيارة محمد عبده لتونس فكان اتصال شخصي بينهما زيادة على قراءة أفكار بعضهما البعض.

---

[1] شيخ الجامع الأعظم-.بلقاسم الغالي: ص25.

[2] الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده –ت: محمد عمارة،ط1، دار الشروق، 1414هـ/1993م ،:ج1ص322-323.

فقد كان لمحمد عبده زيارات عديدة لكثير من البلدان العربية والإسلامية، فقد زار تركيا سنة 1901م، وزار الجزائر في صيف سنة 1903م، وزار السودان قبيل وفاته بشهور سنة 1905م، وأقام ببيروت منفيا من سنة 1882م إلى سنة 1889م.

وكانت زيارته الأولى إلى تونس قد امتدت من 6ديسمبر 1884م إلى 24جانفي 1885م، وأما الزيارة الثانية فكانت من 9 إلى 24 سبتمبر 1903م فكانت من أولويات هذه الزيارة هي توطيد العلاقة وتدعيم الصلة بين جمعية العروة الوثقى وأعضائها التونسيين.[1]

3-محمد رشيد رضا:

هو محمد رشيد رضا ولد سنة 1282هـ-1865م وتوفي سنة 1354هـ-1935م فهو شامي النسبة من قرية القلمون من أعمال طرابلس الشام، زاول المرحلة الأولى من تعليمه بالكتاب، ودخل بعد ذلك إلى المدرسة الرشيدية التي كانت تدرس بالتركية، ثم انتقل إلى المدرسة الوطنية الإسلامية، حيث درس العلوم الشرعية والمنطق والرياضيات، واتصل بعد ذلك بالأستاذ محمد عبده، لقيه بمصر ولازمه طويلا، وانتسب إلى مدرسته الإصلاحية، وبادر إلى إنشاء مجلة المنار لإحياء ما بدأته العروة الوثقى.[2]

إن الشيخ محمد رشيد رضا وإن لم يزر تونس إلا أن صلته كانت متينة برجال الإصلاح في تونس، فكانت مجلة المنار صدى لأرائهم، مظهرة لطرائق الإصلاح، ناقدة للبدع والخرافات، محركة للسواكن في عصر الشيخ بن عاشور.[3]

---

[1] شيخ الجامع الأعظم ،بلقاسم الغالي:ص24.

[2] مجلة المنار-محمد رشيد رضا-دط،مطبعة المنار،1315هـ:ج1ص765.وينظر شيخ الإسلام الإمام الأكبر –الحبيب بن خوجة: ج1ص80.

[3]:شيخ الجامع الأعظم ،بلقاسم الغالي:ص27.

4-الأمير شكيب أرسلان:

هو الأمير شكيب بن الأمير حمود أرسلان، لبناني رفيق جمال الدين الأفغاني بمصر والقسطنطينية، وتلميذ محمد عبده ببيروت، وصديق رشيد رضا بمصر وجنيف، ولد سنة 1286هـ-1879م وتوفي سنة 1366هـ-1946م بالشويفات، وتعلم بمدرسة الحكمة، ثم بالمدرسة السلطانية، مع انتساب إلى محمد عبده حيث تخرج على مجالسه ودروسه الخاصة.[1]

لقد ملأ ذكره العالم الإسلامي، وملأت كتاباته الصحف العربية في المشرق والمغرب، وعرف ببلاغته حتى سمي بحق أمير البيان، ولاشك أن الطاهر بن عاشور على صلة وثيقة بآراء شكيب أرسلان مستحسنا أحيانا، ومناظرا له أحيانا أخرى.[2]

إن اتصال الطاهر بن عاشور بكل هؤلاء العلماء العاملين في الساحة الدعوية، له الأثر البالغ في تكوين شخصيته العلمية، فكل الظروف المحيطة بالعالم من أسرة وبيئة اجتماعية وحضارية وواقع مرير للأمة في أحلك أوقاتها، وعلماء مقاومين لهذا الواقع، له تأثير كبير على طالب العلم الناشئ المتطلع لغد أفضل لهذه الأمة.

---

[1] شيخ الإسلام الإمام الأكبر-الحبيب بن خوجة: ج1ص84.

[2] شيخ الجامع الأعظم –بلقاسم الغالي:ص28.

المطلب الثاني:حياته.

أولا–مولده ونسبه:

إن الطاهر بن عاشور ينتمي من أسرة تمتد أصولها إلى الأندلس، ومنها انتقلت إلى "سلا" ببلاد المغرب سنة 1530هـ–1620م، وكان أول من دخلها من أفراد هذه العائلة الشيخ الصالح الشريف أبو عبد الله محمد بن عاشور الحسني، وقد توفي سنة 1110هـ، وجده الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (الجد) ولد سنة 1230هـ، وقد تقلد مناصب هامة وله مؤلفات مطبوعة، وفي زمن الضعف وتقهقر الخلافة وتآمر الغرب عليها ولد الشيخ بن عاشور بقصر جده للأم الصدر الأعظم محمد العزيز بوعتور بالمرسى في جمادى الأولى 1296هـ، سبتمبر 1879م[1].

قال الشيخ محمد محفوظ: "محمد الطاهر بن عاشور، الإمام الضليع في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية والتاريخية[2]... وهو محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشو، وأمه فاطمة بنت الشيخ الوزير ممد العزيز بن محمد الحبيب بن محمد الطيب بن محمد بن محمد بوعتور"[3].

---

[1] شيخ الإسلام الإمام الأكبر–الحبيب بن خوجة:ج1ص147.وينظر:شيخ الجامع الأعظم–بلقاسم الغالي:ص35.

[2] تراجم المؤلفين التونسيين–محمد محفوظ–ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت.لبنان، 1994م: ج3ص304.

[3] المصدر نفسه:ج3ص304.

ولقد نشأ الطاهر بن عاشور في عناية والده الشيخ محمد بن عاشور رئيس جمعية الأوقاف، وفي كنف جده للأم الشيخ الوزير محمد العزيز بوعتور.[1]

ثانيا–نشأته العلمية:

لقد نشأ الطاهر بن عاشور في أسرة علمية، توارثت العلم كابرا عن كابر، فكان محيطه الأسري أول مدرسة نشأ فيها، كما ذكر ذلك من ترجمو له، ثم سار بعد ذلك على الطريقة التقليدية المعروفة آنذاك.

قال الشيخ محمد محفوظ:"تعلم في الكتاب حتى أتقن حفظ القرآن، ثم تعلم ما تيسر من اللغة الفرنسية"[2]

فقد أقبل الطاهر بن عاشور من السنة السادسة من عمره على مسجد سيدي أبي حديد المجاور لبيتهم بنهج البشا بتونس، فحفظ القرآن الكريم ورتله على الشيخ المقرئ محمد الخياري وحفظ مجموعة من المتون العلمية كابن عاشر والرسالة والقطر ونحوها مما كان يعنى المؤدبون بتلقينه لتلامذتهم الصغار، ودرس في نفس المسجد شرح الشيخ خالد الأزهري على الأجرومية.[3]

ولما بلغ أربعة عشر عاما التحق بجامع الزيتونة، سنة 1310هـ-1892م بتوجيه من والده وجده للأم، ووقع تكليف العلامة الشيخ عمر بن الشيخ لترتيب دروسه وتعيين مشايخه الأولين فكان أول اسم ذكره من أسماء الشيوخ الذين انتخبهم له الشيخ صالح

---

[1] ينظر:شيخ الإسلام الإمام الأكبر–الحبيب بن خوجة:ج1ص147.وينظر:شيخ الجامع الأعظم–بلقاسم الغالي:ص35.

[2] تراجم المؤلفين التونسيين–محمد محفوظ:ج3ص304.

[3] ينظر:شيخ الإسلام الإمام الأكبر–الحبيب بن خوجة:ج1ص148.وشيخ الجامع الأعظم–بلقاسم الغالي:ص37.

الشريف وقرأ بجامع الزيتونة على جماعة من أعلامه منهم إبراهيم المارغيني وسالم بوحاجب، وعمر بن الشيخ ومحمد النجار ومحمد بن يوسف ومحمد النخيلي محمد الطاهر جعفر وأحمد جمال الدين ومحمد العربي الدرعي كما درس اللغة الفرنسية على يد أستاذه الخاص السيد أحمد بن وناس المحمودي.[1]

بهذا يتبين أن أسرة الطاهر بن عاشور كان لها الدور الكبير في تكوينه، فهو سليل أسرة علمية عريقة.

ثالثا–منزلته العلمية ومناصبه:

أ–منزلته العلمية:

ثم كانت أول نجاحاته حين حصوله على شهادة التطويع سنة 1317هـ–1896م، وشارك في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية وكان موضوع الدرس في بيع الخيار، واجتازها بنجاح سنة 1320هـ–1899م، وخطة التدريس التي أحرز عنها منحلة عن المرحوم حسين بن حسين المتوفى سنة 1323هـ–1902م، وبعد نحو أربعة سنوات شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى فنجح فيها سنة 1324هـ–1903م.[2]

إن البيئة التي ترعرع فيها الطاهر بن عاشور بيئة علمية محضة، ساعدته على قوة التكوين وسرعته، وفي هذا الصدد يقول الأستاذ محمد الطاهر الميساوي في مقدمته على كتاب مقاصد الشريعة لابن عاشور:"ومن ثم فلا غرابة أن جاءت هذه السيرة وارفة الأفنان، متنوعة العطاء، دانية القطوف، وكأنما أنت في حضرة مجمع من العلماء ضم في صعيد

---

[1] ينظر:تراجم المؤلفين التونسيين–محمد محفوظ:ج3ص304.وشيخ الإسلام الإمام الأكبر–الحبيب بن خوجة:ج1ص149.150.وشيخ الجامع الأعظم–بلقاسم الغالي:ص40.

[2] تراجم المؤلفين التونسيين–محمد محفوظ:ج3ص304.

واحد:اللغوي والأديب، والمفسر والمحدث، والأصولي والفقيه، والمربي والمؤرخ، والفيلسوف والمنطقي، بل وحتى العالم بأمور الطب، ويكفي لمعرفة مكانة ابن عاشور في التفسير الإحالة على موسوعته تفسير "التحرير والتنوير"، أما في الحديث فهو حافظ حجة له إسناد جامع لصحيحي البخاري ومسلم، وله أيضا إسناد عزيز روى به أحاديث البخاري يعرف بسند المحمدين، وقد أجاز بذلك عددا من العلماء في تونس والجزائر والمغرب، هذا إلى تحقيقاته وشروحه على مرويات الإمامين مالك ابن أنس (كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ) وأبي عبد الله البخاري (النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح) التي استدرك فيها على الكثيرين من سابقيه، وأما رسوخ قدمه في الفقه وأصوله فيكفي شاهدا له كتاب المقاصد، وشرحه المسهب وتحقيقاته المتينة على كتاب تنقيح الفصول في الأصول للقرافي، وابن عاشور إلى هذا وذاك لغوي محققا لمعنى الواسع لعلوم اللغة، سلمت له بالإمامة في ذلك المجامع العلمية كمجمعي دمشق والقاهرة، الذين اعتمداه عضوا مراسلا بهما، وما تزال مداخلاته وأنظاره على صفحات مجلتيهما تنتظر الجمع والتحقيق والنشر، ذلك فضلا عن العدد الكبير من كتب اللغة والأدب ودواوين الشعر التي حققها، فمنها ما نشر ومنها ما لا يزال مخطوطا.وللفلسفة والمنطق عند ابن عاشور مكانة وتقدير....ولكن على الرغم من سمات الغزارة والتنوع والشمول والأصالة التي طبعت شخصيته فاصطبغت بها آثاره وأعماله، فإن ما صرف له من عناية الباحثين وجهود الدارسين لا يكاد يفي بمعشار ما يستحق".[1]

ثم واصل الطاهر بن عاشور دراسته في جامع الزيتونة فكان مشوارا حافلا بالنجاحات والتفوق، فكان من نتائج هذا التكوين العلمي المركز إبداعات كثيرة وإثراء كبير للمكتبة الإسلامية، مع نشر أفكار جديدة فيها معالم التجديد لعصر بلغت مشاكله وأزماته

[1] مقاصد الشريعة الإسلامية-محمد الطاهر بن عاشور-ت:محمد الطاهر الميساوي،ط2،دار النفائس ،1421هـ/2001م:ص17.16.

الذروة، فألف مؤلفات كثيرة، وشارك في مؤتمرات، وكتب مقالات في الجرائد والصحف والمجلات.

أما المجلات التي أسهم ابن عاشور بالكتابة فيها:

السعادة العظمى، المجلة الزيتونية، هدى الإسلام، نور الإسلام، مصباح الشرق، الرزنامة التونسية، مجلة الهداية الإسلامية، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مجلة المجمع العلمي بدمشق، مجلة المنار، مجلة الرسالة، مجلة الثريا.

وأما الصحف:

الزهرة، النهضة، الوزير، الصباح، والفجر.[1]

ومن جملة المقالات التي كتبها ابن عاشور:

المقال لأول: نسب الرسول صلى الله عليه وسلم.

المقال الثاني: الشمائل المحمدية.

المقال الثالث: المقصد العظيم من الهجرة.

المقال الرابع: الرسول صلى الله غليه وسلم والإرشاد.

المقال الخامس: الإسراء.

المقال السادس: وفود العرب في الحضرة النبوية.[2]

---

[1] شيخ الجامع الأعظم-بلقاسم الغالي:ص71.

[2] شيخ الإسلام الإمام الأكبر-الحبيب بن خوجة :ج1ص320.

وأما مؤلفاته المستقلة فهي عديدة، أثرى بها الطاهر بن عاشور المكتبة الإسلامية في عدة تخصصات، كالأدب واللغة، والعلوم الإسلامية، والتاريخ والتفسير وغيرها ، ولقد قام محمد محفوظ وبلقاسم الغالي والحبيب بن خوجة بإحصاء لمؤلفاته ومنها:

مؤلفاته في العلوم الإسلامية:

1. تفسير التحرير والتنوير.
2. مقاصد الشريعة.
3. أصول النظام الاجتماعي في الإسلام.
4. أليس الصبح بقريب.
5. الوقف وآثاره في الإسلام.
6. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ.
7. قصة المولد.
8. حواشي على التنقيح لشهاب الدين القرافي في أصول الفقه.
9. رد على كتاب الإسلام وأصول الحكم.
10. فتاوى ورسائل فقهية.
11. التوضيح والتصحيح في أصول الفقه.
12. النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح.
13. تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع.
14. قضايا شرعية وأحكام فقهية وآراء اجتهادية ومسائل علمية.
15. آمال على مختصر خليل.

16. تعليق على المطول وحاشية السيالكوتي.

17. أمال على دلائل الإعجاز.

18. أصول التقدم في الإسلام.

19. مراجعات تتعلق بكتابي معجز أحمد والألمع للعزيزي.

وأما مؤلفاته في اللغة:

1. أصول الإنشاء والخطابة.
2. موجز البلاغة.
3. شرح قصيدة الأعشى.
4. شرح ديوان بشار.
5. الواضح في مشكلات المتنبي لابن جني.
6. سرقات المتنبي.
7. شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي على ديوان الحماسة.
8. ديوان النابغة الذبياني (جمع وشرح وتعليق).
9. تحقيق مقدمة في النحو لخلف الأحمر.
10. تراجم لبعض الأعلام.
11. تحقيق كتاب الاقتضاب للبطليوسي مع شرح كتاب أدب الكاتب.
12. جمع وشرح ديوان سحيم.
13. شرح معلقة امرئ القيس.
14. تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.
15. غرائب الاستعمال.

16. تصحيح وتعليق على كتاب الانتصار لجالنيوس للحكيم ابن زهر.
17. شرح ديوان ابن الحسحاس.[1]

ومؤلفات أخرى فقد كان له قلم سيال، وكانت كتاباته علمية، وأخرى إصلاحية.

ب-مناصبه:

تقلب الشيخ ابن عاشور في مراتب التدريس حيث نجح في مناظرة الطبقة الثانية، وتولى مهام التدريس بصفة رسمية بالجامع الأعظم.

قال محمد محفوظ:" وفي سنة 1321هـ-1900م أضيف إليه التدريس بالمدرسة الصادقية، وفي سنة 1325هـ-1904م سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة، فابتدأ أعماله بإدخال نظم مهمة على التعليم بحسب ما سمح به الحال، وحرر لائحة في إصلاح التعليم وعرضها على الحكومة فوقع تنفيذ شيء منها وأبقى الكثير منها في انتظار فرصة أخرى، وسعى في إحياء بعض العلوم العربية التي كانت مقتصرة على النحو والبلاغة، وفي سنة 1329هـ-1908م سمي عضوا في لجنة تنقيح برامج التعليم، وكتب تقريرا عن حالة التعليم فكان الاعتماد على لائحته المشار إليها قبل قليل، وقدم لائحة في إيجاد تعليم ابتدائي إسلامي منظم في المدن الخمس القيروان، وسوسة، وصفاقص، وتوزر، وقفصة، وفي في نفس السنة سمي عضوا بالمجلس المختلط العقاري، وفي سنة 1331هـ-1913م سمي قاضيا مالكيا للجماعة وبموجب ذلك دخل في هيئة النظارة العلمية المديرة لشؤون جامع الزيتونة، وفي سنة 1341هـ-1923م عاد إلى التدريس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية، وفي نفس السنة سمي نائبا عن الشيخ باشا مفتي، وفوض إليه مباشرة وظائفه الشرعية والعلمية،

[1] تراجم المؤلفين التونسيين-محمد محفوظ: ج3ص307.و شيخ الجامع الأعظم-بلقاسم الغالي:ص69.70.71. وينظر:شيخ الإسلام الإمام الأكبر-الحبيب بن خوجة:ج1ص312.

وفي سنة 1345هـ-1927م أسندت إليه خطة باشا منت، وفي جمادى الأولى سنة 1351هـ-1932م سمي شيخ الإسلام المالكي وهو أول من تولى هذه الخطة، وشيخا لجامع الزيتونة وفروعه، ثم اقتصر غلى وظيفة شيخ الإسلام وفي ربيع الأول 1364هـ-نوفمبر 1944م سمي شيخا لجامع الزيتونة وفروعه، واعتزل هذا المنصب خلال سنة 1951م ولما جاء الاستقلال سمي عميدا للجامعة الزيتونية في أفريل 1956م."[1]

ج-وفاته:

توفي رحمه الله يوم الأحد 13 رجب 1393هـ الموافق ل 12 أوت 1973م بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والإفادة والتأليف.[2]

---

[1] تراجم المؤلفين التونسيين-محمد محفوظ: ج3ص305. وينظر:شيخ الإسلام الإمام الأكبر-الحبيب بن خوجة: ج1 ص157. وشيخ الجامع الأعظم-بلقاسم الغالي:ص56.

تنبيه: لقد لاحظت أن سنوات المناصب المذكورة فيها اختلاف بين المراجع، فيها شيء من التقديم والتأخير لبعض السنوات، والذي التزمته هو ما ذكره الشيخ محمد محفوظ.

[2] تراجم المؤلفين التونسيين-محمد محفوظ: ج3ص307. وشيخ الجامع الأعظم-بلقاسم الغالي:ص68.

المبحث الثاني:التعريف بتفسير "التحرير والتنوير".

المطلب الأول: سبب تأليفه ومكانته العلمية.

أولا–سبب تأليف التفسير.

ثانيا–تسمية التفسير.

ثالثا–قيمته العلمية.

المطلب الثاني: منهج تأليفه.

أولا–منهج تأليف التفسير عموما.

ثانيا–منهج الطاهر بن عاشور في التفسير بالمأثور.

ثالثا–منهج الطاهر بن عاشور في التفسير بالرأي.

رابعا–منهج الطاهر بن عاشور في التفسير المقاصدي.

المطلب الأول: سبب تأليفه ومكانته العلمية:

لكل عمل دواعي وتحفيزات، ومشروع ضخم ككتابة تفسير مطول، يحتاج إلى همة عالية، وأهداف سامية، وإرادة كبيرة، وكذلك كان الطاهر بن عاشور حين هم بكتابة تفسيره، سنستعرض في هذا المطلب سبب تأليف "التحرير والتنوير"، مبرزين قيمته العلمية.

أولا–سبب تأليف تفسير التحرير والتنوير:

لقد كان من أمنيات الطاهر بن عاشور تفسير القرآن الكريم، كما صرح بذلك في مقدمة تفسيره، ولكنه كان يتردد كثيرا، فتارة يقدم وتارة يحجم، إذ كانت الصوارف تعوقه، والتهيب من الإقدام على هذا الأمر العظيم يقف دونه، حيث قال:"كان أكبر أمنيتي منذ زمن بعيد، تفسير الكتاب المجيد، الجامع لمصالح الدنيا والدين، وموثق شديد العرى من الحق المتين، والحاوي لكليات العلوم ومعاقد استنباطها، والآخذ قوس البلاغة من محل نياطها، طمعا في بيان نكت من العلم وكليات من التشريع، وتفاصيل من مكارم الأخلاق، كان يلوح أنموذج من جميعها من خلال تدبره، أو مطالعة كلام مفسره، ولكني كنت على كافي بذلك أتجهم التقحم على هذا المجال، وأحجم عن الزج بسية قوسي في هذا النضال، اتقاء ما عسى أن يعرض له المرء نفسه من متاعب تنوء بالقوة، أو فلتات سهام الفهم وإن بلغ ساعد الذهن كمال الفتوة، فبقيت أسوف النفس مرة ومرة أسومها زجرا، فإن رأيت منها تصميما أحلتها على فرصة أخرى، وأنا آمل أن يمنح من التيسير، ما يشجع على قصد هذا الغرض العسير، وفيما أنا بين إقدام وإحجام، أتخيل هذا الحقل مرة القتاد وأخرى الثمام، إذأنا بأملي قد خيل إلي أنه قد تباعد وانقضى، إذ قدر أن تسند إلي خطة القضا، فبقيت متلهفا ولات حين مناص، وأضمرت

تحقيق هذه الأمنية متى أجمل الله الخلاص، وكنت أحادث بذلك الأصحاب والإخوان، وأضرب المثل بأبي الوليد بن رشد في كتاب البيان، ولم أزل كلما مضت مدة يزداد التمني وأرجو إنجازه، إلى أن أوشك أن تمضي عليه مدة الحيازة، فإذا الله قد من بالنقلة إلى خطة الفتيا، وأصبحت الهمة مصروفة إلى ما تنصرف إليه الهمم العليا، فتحول إلى الرجاء ذلك اليأس، وطمعت أن أكون ممن أوتي الحكمة، فهو يقضي بها ويعلمها الناس، هنا لقد عقدت العزم على تحقيق ما كنت أضمرته، واستعنت بالله تعالى واستخرته، وعلمت أن ما يهول من توقع كلل أو غلط، لا ينبغي أن يحول بيني وبين نسج هذا النمط، إذ بذلت الوسع في الإجتهاد، وتوخيت طرق الصواب والسداد." [1]

تعمدت نقل هذا النص بالرغم من طوله، لما يعبر عن همة العالم وعظم أهدافه مع كثرة مشاريعه، ومدى توفيق الله عز وجل لهم بسبب خالص نياتهم.

ولقد وصف الحبيب بن خوجة تأليف التحرير والتنوير بقوله:"أما كتاب التفسير للإمام الأكبر فهو كما قدمنا "التحرير والتنوير"، وهو جملة من دروس ألقاها على طلابه بالجامع الأعظم أسماها أمالي، أول ما طبع من التفسير: جزء عم وسبح بتونس سنة 1956م كما نشرت المقدمات مستقلة، وهي تتصل بعلوم القرآن، ونشر بالقاهرة المجلدان الأولان منه سنة1965م، 1966م وطبع كاملا ابتداء من سنة 1968م بتونس، وهو يحتوي على خمسة عشر مجلدا، بها تفسير ثلاثين جزءا بتجزئة القرآن."[2]

وبعد الفراغ منه ختمه بكلمة عظيمة مأثرة قال فيها:"إن كلام رب الناس، حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم المفسر يسعى على القرطاس، وإن قلمي

---

[1] تفسير التحرير والتنوير-محمد الطاهر بن عاشور-دط،الدار التونسية للنشر،1984م:ج1ص6.

[2] شيخ الإسلام الإمام الأكبر-الحبيب بن خوجة:ج1ص315.

طالما استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر المنيح، وإذ أتى على التمام فقد حق له أن يستريح."[1]

ثانيا- تسمية التفسير:

لابد أن يكون لكل كتاب إسم أو عنوان يوافق ما يحويه من كلام فيكون اسما على مسمى يعكس مضمونه ويستهوي قارئه، وكانت تسمية تفسير الطاهر بن عاشور لها المعاني المذكورة.

قال الطاهر بن عاشور في مقدمة تفسيره:"وسميته تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب المجيد"واختصرت هذا الاسم باسم (التحرير والتنوير من التفسير)."[2]

فهذه تسمية مؤلفه، ثم اشتهر باسم (تفسير التحرير والتنوير).

ولقد استغرق المؤلف في تأليفه حوالي تسعا وثلاثين سنة كما صرح بذلك في نهاية التفسير.

قال الطاهر بن عاشور:"وكان تمام هذا التفسير، عصر يوم الجمعة الثاني، عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاثمائة وألف، فكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة وستة أشهر، وهي حقبة لم تخل من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنانها وارفة، ومنازع بقريحة شاربة طورا وطورا غارفة، وما خلا ذلك من تشتت بال، وتطور أحوال، مما لم تخلو عن الشكاية منه الأجيال، ولا كفران لله فإن نعمه أوفى، ومكاييل فضله علي لا تطفف ولا تكفا.

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج30ص636.

[2] المصدر نفسه: ج1ص6.

وأرجو منه تعالى لهذا التفسير أن ينجد ويغور، وأن ينفع الله به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور، وكان تمامه بمترلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس."[1]

ويجدر التنبيه بأن هذا المؤلف هو أكبر مؤلفات الطاهر بن عاشور حجما، وأغزرها علما وأعظمها فائدة، والله أعلم.

ثالثا–قيمته العلمية:

تظهر قيمة تفسير الطاهر بن عاشور "التحرير والتنوير" فيما أجمله مؤلفه في مقدماته التي صارت منهاجا للمفسرين من بعده ، ابتدأ ابن عاشور تفسيره بمقدمات عشر، ذكر فيها معالم المنهجية التي سار عليها في تفسيره، يقول ابن عاشور:"وها أنا ابتدئ بتقديم مقدمات تكون عوناً للباحث في التفسير، وتغنيه عن معاد كثير"[2].

فكان هذا التفسير مبنيا على أصول واضحة، وكذا تميزه بثرائه المعرفي في كل المجالات.

المطلب الثاني: منهج تأليفه.

أولا–منهج تأليف التفسير عموما:

لقد أفصح الطاهر بن عاشور في مقدمات التفسير عن منهجه في التفسير وبين رأيه في كثير من القضايا الخلافية بين المفسرين، ذكر أبرزها مغفلا بعضها لضرورة البحث الذي لا يتحمل الإطالة وذلك لأن المقام ليس مقام تفصيل وإطالة، وإنما مقام تقديم صورة تسهم في إعطاء تصور عن المنهجية التي اتبعها ابن عاشور في تأليفه لتفسير"التحرير والتنوير".

---

[1] تفسير التحرير والتنوير–محمد الطاهر بن عاشور:ج30ص637.

[2] المصدر نفسه: ج1ص9.

لقد انتقد الطاهر بن عاشور منهج المفسرين قبله مؤسسا بذلك منهجا لنفسه له أسس وقواعد مخالفة لمن سبقه.

قال الطاهر بن عاشور:"و التفاسير وإن كانت كثيرة فإنك لا تجد الكثير منها إلا عالة على كلام سابق بحيث لا حظ لمؤلفه إلا الجمع على تفاوت بين اختصار وتطويل."[1]

ومن منهج الطاهر بن عاشور في تفسيره بيانه لوجوه الإعجاز وأساليب اللغة العربية والبلاغة.

قال الطاهر بن عاشور:"و قد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض...أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض ،فلا أراه حقا على المفسر.

ولم أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها...واهتممت بتبيين معاني المفردات في اللغة العربية بضبط وتحقيق مما خلت عن ضبط كثير منه قواميس اللغة."[2]

ومن أبرز ما يميز منهج الطاهر بن عاشور في التفسير وربما مما تفرد به في بعض آرائه، هو التزامه في تفسيره بضوابط وضعها لنفسه في مقدمات التفسير منها منهجه في التفسير بالمأثور، ومنهجه في التفسير بالرأي، وكذا منهجه في التفسير المقاصدي، وهذا ما سنتعرض له في الفروع التالية باختصار من غير اخلال بالمقصود.

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج1ص7.

[2] المصدر نفسه: ج1ص8.

ثانيا–منهج الطاهر بن عاشور في التفسير بالمأثور:

إن التفسير بالمأثور كما شرحه أهل هذا الفن يشمل ما جاء في القرآن نفسه من البيان والتفصيل لبعض آياته، وما نقل عن الرسول صلى الله عليه وسلم وما نقل عن الصحابة ضوان الله عليهم، وما نقل عن التابعين، من كل ما هو بيان وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.[1]

لقد استفاد ابن عاشور في تفسيره من قواعد المحدثين وأصولهم في الرواية فقد امتلأ تفسير التحرير والتنوير بالأحاديث الصحيحة والحسنة، وابتعد عن الأحاديث الموضوعة، وهذه من مناقب التحرير والتنوير.

كما أن المتأمل لتفسير ابن عاشور يرى أنه كان مقِلاً من الأخذ بتفسير الصحابة إلا أن ذلك لا يعني أنه أغفلها أو تجاهلها ولكنه استفاد منها على عجالة، وأكثر نقولاته من مرويات ابن عباس رضي الله عنهما.

وأما أسباب النزول فهو موضوع المقدمة الخامسة في التحرير والتنوير، ويؤكد فيها على أهمية أسباب النزول، وأن اعتمادها دائر بين القصد والإسراف، وأن منها ما ليس المفسر بغنى عن علمه، لأن فيها بيان مجمل وغير ذلك، رافضاً لاعتماد المفسرين على الروايات الضعيفة.[2]

---

[1] التفسير والمفسرون"بحث تفصيلي عن نشأت التفسير وتطوره.وألوانه ومذاهبه.مع عرض شامل لأشهر المفسرين.وتحليل كامل لأهم كتب التفسير من عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى عصرنا الحاضر"–محمد حسين الذهبي،دط،مكتبة وهبة:ج1ص112.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص46.

وأما القراءات فقد كان هدف ابن عاشور من وراء هذا المبحث بيان تعلق اختلاف القراءات بالتفسير ومراتب القراءة قوة وضعفاً.[1]

ثالثا–منهج الطاهر ابن عاشور في التفسير بالرأي:

لقد برر الطاهر بن عاشور أن التفسير بالرأي تفسير صحيح بقوله:"وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن إلا بما رزقه الذين أتوا العلم من فهم من كتاب الله... ثم لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن من جهة العربية لكان التفسير نزرا، ونحن نشاهد كثرة أقوال السلف من الصحابة فمن يليهم في تفسير آيات القرآن وما أكثر ذلك الاستنباط برأيهم وعلمهم....وهل استنباط الأحكام التشريعية من القرآن في خلال القرون الثلاثة الأولى من قرون الإسلام إلا من قبيل التفسير لآيات القرآن الكريم بما لم يسبق تفسيرها به قبل ذلك ."[2]

ثم أجاب عن الآثار التي تذم القول في القرآن بالرأي من خمسة وجوه بقوله:"أولها:أن المراد بالرأي هو القول عن مجرد خاطر دون استناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة وتصاريفها، وما لابد منه من معرفة الناسخ والمنسوخ، وسبب النزول فهذا لا محالة إن أصاب فقد أخطأ في تصوره بلا علم، لأنه لم يكن مضمون الصواب كقول المثل "رمية من غير رام"، ثانيا:أن لا يتدبر القرآن حق تدبره، فيفسره بما يخطر له من بادئ الرأي دون إحاطة بجوانب الآية ومواد التفسير مقتصرا على بعض الأدلة دون بعض.

ثالثا:أن يكون له ميل إلى نزعة أو مذهب أو نحلة فيتأول القرآن على وفق رأيه ويصرفه عن المراد.

---

[1] المصدر السابق:ج1ص51.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص29.

رابعا:أن يفسر القرآن برأي مستند إلى ما يقتضيه اللفظ ثم يزعم أن ذلك هو المراد دون غيره.

خامسا:أن يكون القصد من التحذير أخد الحيطة في التدبر والتأويل، ونبذ التسرع."[1]

من كلام الطاهر بن عاشور يظهر موقفه جليا من التفسير بالرأي فهو يجعل له ضوابط يبعده بذلك عن التفسير بالرأي المذموم وأن هذا هو سبيل السلف الأول.

رابعا– منهج الطاهر بن عاشور في التفسير المقاصدي:

لقد كان للنزعة المقاصدية تأثيراً كبيراً على ابن عاشور في سائر مؤلفاته, وخصوصاً تفسيره التحرير والتنوير، ويظهر هذا الأمر جلياً منذ اللحظة الأولى في التفسير وفي أثناء المقدمات التي حدد بها ملامح تفسيره، ومعالم المنهجية التي سار عليها.

قال الطاهر بن عاشور:"إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصلاح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم قال لله تعالى:"وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين" فكان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية، والجماعية، العمرانية...فمراد الله من كتابه هو بيان تصاريف ما يرجع إلى حفظ مقاصد الدين، وقد أودع ذلك في ألفاظ القرآن، التي خاطبنا بها خطابا بينا، وتعبدنا بمعرفة مراده والإطلاع عليه."[2]

وقد بين الطاهر بن عاشور الأمر الأساسي الذي يوصل الباحث إلى مراد الله تعالى هو اللسان العربي فكان لزاما للمفسر أن يكون عالما باللسان العربي عارفا بأيام العرب وأخبارها وما عهدته.

---

[1] المصدر السابق:ج1ص31.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص38–39.

قال الطاهر بن عاشور:"وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه، ومستودعا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولا لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها."[1]

وقصر المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبيانها إلى ثمانية أمور[2]:

1. إصلاح الاعتقاد وتعليم العقد الصحيح.
2. تهذيب الأخلاق.
3. التشريع وهو الأحكام الخاصة والعامة.
4. سياسة الأمة.
5. القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم.
6. التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين.
7. المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير.
8. الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول.

وانطلاقاً من هذه الرؤية المقاصدية يحدد ابن عاشور موقفه ورأيه في كثير من المسائل والقضايا التي تعد من أصول التفسير ومبادئه، ولعله يفصل في بعض المسائل الخلافية بترجيح مقاصدي.

---

[1] المصدر السابق:ج1ص39.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1 ص42.

الفصل الأول

مفهوم العرب
مفهومه ومنوابطه

الفصل الأول: معهود العرب مفهومه وضوابطه.

المبحث الأول: مفهوم معهود العرب وأنواعه.

المطلب الأول: مفهومه عند الأصوليين والمفسرين.

المطلب الثاني: أنواع عادات العرب.

المبحث الثاني: ضوابط مراعاة معهود العرب.

المطلب الأول: مراعاة العرف اللغوي.

المطلب الثاني: مراعاة السياق.

إن الله ختم رسالاته بمحمد صلى الله عليه وسلم، بعد أن غيرت العرب دين إبراهيم وابتدعت فيه ما لم يأذن به الله تعالى في شريعته، فأرسل إليهم رسولا من بينهم يتكلم بلسانهم لينذرهم، فخاطبهم بالوحيين كتابا وسنة بلسان عربي مبين وبما عهدوه من فهم الكلمات وما يلزم منها من معاني تبعا لعرفهم اللغوي وعاداتهم التي نشأوا عليها.

فكان لزاما على كل ناظر في الأدلة الشرعية معرفة عادات العرب وما عهدوه من فهم الخطاب حتى يصل إلى الفهم الصحيح للنصوص الشرعية، وحتى لا تزل قدمه في ذلك، فكان الهدف من هذا الفصل الاعتناء بالتعريف بالعادات العربية والتمثيل لها وبيان مفهومها عند الاصوليين والمفسرين، وكذا بيان أنواعها وما يتعلق بها وما يدخل في معناها من سياق الكلام وغير ذلك.

المبحث الأول: مفهوم معهود العرب وأنواعه.

سنتعرض في هذا المبحث إلى دراسة عادات العرب وما عهدوه زمن الخطاب الشرعي بشكل عام، مع بيان مدى أهمية ذلك، فنعرف العادة والعرف، ونبين مفهوم معهود العرب عند كل من الأصوليين والمفسرين واهتمامهم به كأصل يهرع إليه لفهم النصوص، ونذكر مزالق من لم يراعي ذلك من المفسرين خاصة، وسنتطرق إلى أنواع معهود العرب، وإلى ضوابط مراعاة معهود العرب.

المطلب الأول: مفهومه عند الأصوليين والمفسرين.

إن عمل المجتهد لجليل، كيف لا وهو الناظر في الوحي كتابا وسنة مبتغيا الوصول إلى مراد الله تعالى، لذا ينبغي مراعاة الضوابط والقواعد الناظمة له، لكي يكون النظر على الوجه الصحيح، فلما كان الوحي قد نزل بلسان العرب لأنهم هم المخاطبون ابتداء فلم يخرج عن معهود العرب في لغتهم العربية من حيث ذوات المفردات والجمل وقوانينها العامة، بل جاء

قرآنا عربيا جاريا على مألوف عادات العرب[1]، فما المقصود بعادات العرب؟، للإجابة عن هذا السؤال سنحاول التعريف بالعادات لغة واصطلاحا.

أولا:تعريف العادة لغة:

قال الزبيدي[2] في تاج العروس:"العادة تكرير الشيء دائما أو غالبا على نهج واحد، بلا علاقة عقلية، وقيل:ما يستقر في النفوس من الأمور المتكررة المعقولة عند الطباع السليمة، وقيل أن العادة والعرف بمعنى واحد."[3]، وقال في لسان العرب:"والعادة:الديدن يعاد إليه، معروفة وجمعها عادة وعادات و عيد."[4]

ثانيا: تعريف العادة اصطلاحا:

جاء في تعريفات الجرجاني[5] "أن العادة :ما استمر الناس عليه على حكم المعقول، وعادوا إليه مرة بعد أخرى."[6]، وقال علي حيدر:"العادة هي الأمر الذي يتقرر بالنفوس

---

[1] ينظر:استدلال المفسرين بعادات العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم"دراسة تطبيقية"-عبد الرحيم الشريف،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية،جامعة الكويت: ج28،العدد:94،2013م.

[2] هو محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي أبو الفيض، الملقب بمرتضى، علامة باللغة والحديث والرجال والأنساب، من كبار المصنفين(1145هـ/1205هـ)أصله من واسط بالعراق، ومولده بالهند في بلجرامومنشأه في زبيد باليمن، وتوفي بالطاعون في مصر. ينظر:الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين-خير الدين الزركلي-ط15،دار العلم للملايين بيروت لبنان،2002م: ج3 ص42.

[3] تاج العروس من جواهر القاموس-محمد مرتضى الحسني الزبيدي-ت:عبد العزيز مطر،ط2،مطبعة حكومة الكويت ،1414هـ1994م: ج8ص443.

[4] لسان العرب-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،دط،دار ومكتبة الهلال: ج10ص326.

[5] هو علي بن محمد بن علي المعروف بالشريف الجرجاني، فيلسوف ومن كبار العلماء بالعربية، ولد في تاكو قرب أستراباذ ودرس في شيراز، ولما دخلها تيمور سنة 789هـ فر الجرجاني إلى سمرقند، ثم عاد إلى شيراز بعد موت تيمور، فأقام إلى أن توفي، وله نحو خمسين مصنفا. ينظر:الأعلام للزركلي: ج2 ص115.

[6] معجم التعريفات-علي ابن محمد السّيد الشريف الجرجاني-ت:محمد صديق المنشاوي،دط،دار الفضيلة القاهرة:ص123.

ويكون مقبولا عند ذوي الطباع السليمة بتكراره المرة بعد المرة، على أن لفظ العادة يفهم منها تكرر الشيء ومعاودته بخلاف الأمر الجاري صدفة مرة أو مرتين و لم يعتده الناس فلا يعد عادة ولا يبنى عليه حكم، والعرف بمعنى العادة أيضا."[1]، وقال عبد الفتاح محمد أحمد خضر:"العادة هي مجموع سلوكيات مجتمع ما، حسنة كانت أم سيئة."[2]

ومن الألفاظ المشابهة للعادة في المعنى هي "العرف"، فسنحاول تعريفه كما فعلنا مع لفظ "العادة".

ثالثا: تعريف العرف لغة:

للعرف معاني كثيرة في لسان العرب نذكر منها:

أولا: معنى ضد النُّكر، قال ابن منظور:"العُرفُ ضد النُّكر، والمعروف ضد المُنكر، يقال: أولاه عُرفا أي معرُوفا، والمعروف والعارفةُ: خلاف النُّكر."[3]

ثانيا: معنى الصبر، قال ابن منظور:"والعُرف بالضَّم والعرف بالكسر: الصبر."[4]

ثالثا: معنى العلم، قال ابن منظور:"عرف، العرفان: العلم."[5]

---

[1] درر الحكام شرح مجلة الأحكام-علي حيدرة-ت:فهمي الحسيني،طبعة خاصة،دار عالم الكتب،المملكة العربية السعودية،1423هـ/2003م: ج1ص44.

[2] عادات عربية في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية-عبد الفتاح محمد أحمد خضر-العدد الثالث،جمادى الآخرة 1428هـ:ص7.

[3] لسان العرب-ابن منظور: ج10ص111.

[4] المصدر نفسه: ج10ص112.

[5] المصدر نفسه: ج10ص110.

رابعا: تعريف العرف اصطلاحا: هو عادة جمهور قوم في قول أو عمل[1].

وبناء على ما سبق يرى الباحث أن المقصود بعادات العرب ما سار عليه العرب واعتادوه من قول أو فعل أو ترك أو اعتقاد، استنادا إلى عاداتهم وعرفهم وتقاليدهم وأفكارهم ومعتقداتهم وأساليبهم في الخطاب والبيان.

أ-مفهوم معهود العرب عند الأصوليين:

إن مراعاة معهود العرب في فهم الكتاب والسنة هي جزئية لغوية أصولية، تطرق إليها علماء اللغة وكذا علماء الأصول، أما عند علماء الأصول فنجدها في مباحث دلالات الألفاظ ومبحث اللغة ومنشئها.

سنقوم بعرض كلام بعض علماء الأصول مبينين مدى اهتمامهم بهذا المبحث وما مفهوم كل واحد منهم لمعهود العرب، نذكر من خصه بالبحث وصرح به، وأثبته في مؤلفاته، ولعل الأمر ينحصر على حد علمنا في علمين اثنين الإمام الشافعي والإمام الشاطبي من المتقدمين من علماء الأصول والله أعلم.

1-عند الإمام الشافعي:

إن مراعاة معهود العرب في تلقي الخطاب، جزئية اهتم بها علماء الأمة سلفا وخلفا، غير أن هذا الاهتمام لم يفصح عنه في المدونات تأصيلا وبيانا إلا في رسالة الإمام الشافعي[2]،

---

[1] المدخل الفقهي العام-مصطفى أحمد الزرقاء-ط2،دارالقلم دمشق،1425هـ/2004م: ج1ص141.
وينظرالتعارض والترجيح عند الأصوليين وأثرهما في الفقه الإسلامي-محمد إبراهيم محمد الحنفاوي-ط2،دار الوفاء،1408هـ/1987م:ص113.

[2] هو الإمام الشافعي محمد ابن إدريس ابن العباس ابن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم ابن المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي ابن غالب الإمام، عالم عصره، ناصر الحديث، فقيه الملة، أبو عبد الله القرشي، ثم المطلبي الشافعي المكي، الغزي المولد (150هـ/204هـ). ينظر: سير أعلام

فكان الإمام الشافعي هو أول من بين أهمية هذه الجزئية في مؤلفاته، كأصل من أصول الشريعة لبيان مراد الله تبارك وتعالى، قال الإمام الشاطبي :"والذي نبه على هذا المأخذ في المسألة هو الشافعي الإمام، في رسالته الموضوعة في أصول الفقه، وكثير ممن أتى بعده لم يأخذها هذا المأخذ فيجب التنبيه لذلك."[1]

لقد كان الإمام الشافعي أول من ألف في أصول الفقه وأفرده بالتصنيف، فصدر مؤلفه ببحث أساسه هو بيان أهمية اللسان العربي في الشريعة، وأن نصوص الوحي عربية لا تدخلها العجمة بحال من الأحوال، و عنونه بباب البيان، وبين أن اللسان العربي هو أول مصادر البيان فوجب بذلك بذل الجهد في تعلم اللسان العربي[2]، قال الشافعي :"والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب."[3] وقال"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده، حتى يشهد به أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، ويتلو به كتاب الله، وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير، وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك."[4] وقال"وإنما بدأت بما وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره، لأنه

النبلاء–شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي–ت:شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي،ط1،مؤسسة الرسالة بيروت لبنان،1402هـ/1982م: ج10 ص5.

[1] الموافقات في أصول الشريعة –أبو إسحاق الشاطبي،د ط،دار الكتب العلمية بيروت لبنان :ج2ص51. وينظر: الرسالة –للامام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي،ت:أحمد محمد شاكر،دط،المكتبة العلمية بيروت لبنان:ص42.

[2] قال ابن تيمية:"وأيضا فإن الله أنزل كتابه باللسان العربي، وجعل رسوله مبلغا عنه الكتاب والحكمة بلسانه العربي، وجعل السابقين إلى هذا الدين متكلمين به، فلم يكن سبيل إلى ضبط الدين معرفته إلا بضبط هذا اللسان، وصارت معرفته من الدين، إذ هو أسهل على أهل الدين في معرفة دين الله، وأقرب إلى إقامة شعار الدين، وأقرب إلى مشابهة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار في جميع أمورهم، وقد أمر العلماء بالخطاب العربي، وكرهوا مداومة غيره لغير حاجة."، المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم–شيخ الإسلام ابن تيمية–اختصره محمد بن علي بن محمد البعلي،ت:علي بن محمد العمران،ط1،دار علم الفوائد مكة المكرمة،1422هـ: ص74.

[3] الرسالة–الإمام الشافعي:ص42.

[4] المصدر نفسه:ص47.

لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها."[1]

فثبت بذلك أن اللسان العربي هو المفتاح للوصول إلى معاني الكتاب والسنة، لذا يجب معرفة كل ما يحمله من أسرار البيان ومنها مراعاة معهود العرب في تلقي الخطاب، قال الشافعي:"فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشئ منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره، وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جهالتها، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة."[2]

الذي يظهر من كلام الشافعي أن فطرة العرب وأعرافها ومعهودها في تلقي الخطاب له دور كبير في فهم معانيه، فالعالم باللسان العربي يدرك ما تقصده العرب من كلامها بمراعاة ما تعهده في تلقي الخطاب، فيكون ذلك أساسا وقاعدة في فهم القرآن الكريم والسنة النبوية.

---

[1] الرسالة الامام الشافعي: ص50.

[2] المصدر نفسه:ص52.

2-الإمام الشاطبي:

لقد أكد الشاطبي[1] ما قرره الإمام الشافعي، غير أنه كان أكثر تفصيلا في بحثه بيانا وتمثيلا، كما أكد أن القرآن نزل بلسان العرب، وأن لا عجمة فيه فوجب بذلك فهمه على حسب ما يقتضيه هذا اللسان، قال الشاطبي:"القرآن نزل بلسان العرب على الجملة، فطلب فهمه إنما يكون من هذا الطريق خاصة، لأن الله تعالى يقول:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ سورة يوسف الآية:02، وقال:﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾ سورة الشعراء الآية:195، وقال:﴿ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَـٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ سورة النحل الآية:103، قال:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ سورة فصلت الآية:44، إلى غير ذلك مما يدل على أنه عربي وبلسان العرب، لا أنه أعجمي ولا بلسان العجم، فمن أراد تفهمه فمن جهة لسان العرب يفهم، ولا سبيل إلى تطلب فهمه من غير هذه الجهة. "[2]

وعلماء الأصول مجمعون على أن القرآن الكريم أُنزل بلسان العرب على خلاف بينهم على وجود كلمات أعجمية عُربت وتكلمت بها العرب واستعملتها، فتكون قد دخلت في جملة كلامها.

---

[1] هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي ، العلامة الأصولي الشهير ، من أشهر مصنفاته : الموافقات، والاعتصام، توفي في شعبان 790هـ، تنظر ترجمته : نيل الابتهاج بتطريز الديباج،التنبكتي أحمد بابا ، ط1، مطبعة السعادة،مصر القاهرة، 1329ه : ص46، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية-محمد مخلوف- دط،دار الفكر، بيروت لبنان:ص:234.

[2] الموافقات-الامام الشاطبي: ج2 ص49.

لقد تبع الشاطبي الشافعي في مراعاة معهود العرب في خطابها، والتصريح بذلك في الموافقات حيث قال:"فإن قلنا أن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها ...فإذا كان كذلك فالقرآن في معانيه وأساليبه على هذا الترتيب"[1]

لقد وصف الله العرب أنهم أميون فلزم من ذلك أن الشريعة جاءت لأمة أمية لم تخرج عما ألفته العرب، وأكد ذلك الشاطبي بقوله:"فإن كان كذلك فهو معنى كونها أمية، أي منسوبة إلى الأميين، وإن لم تكن كذلك لزم أن تكون على غير ما عهدوا فلم تكن لتنزل من أنفسهم منزلة ما تعهد، وذلك خلاف ما وضع عليه الأمر فيها، فلا بد أن تكون على ما يعهدون والعرب لم تعهد إلا ما وصفها الله به من الأمية ."[2].

بعد أن اطلعنا على كلام علماء الأصول المتقدمين المفصحين عن رأيهم في مؤلفاتهم، وفي حدود علمنا حصرناهم في الإمام الشافعي والشاطبي، حيث لم نجد لغيرهم كلام مثبت في مؤلفاتهم والله أعلم، يظهر للباحث مدى أهمية معرفة عادات العرب ومدى تأثيرها في معاني النصوص، فهي أصل في فهم نصوص الشريعة، ومن أغفلها فلا شك أنه سيزل عن الفهم الصحيح للقرآن.

ب–مفهوم معهود العرب عند المفسرين:

بعد تطرقنا إلى مفهوم "معهود العرب" عند الأصوليين، كونه أصل من أصول الشريعة يعين المجتهد في استنباط الحكم الشرعي ويكون له كضابط في ذلك، نتطرق الآن إلى مفهومه عند المفسرين، كونه أداة ضرورية في تفسير وفهم النص الشرعي، ويكون أيضا

[1] المصدر السابق: ص50–51.

[2] الموافقات–الشاطبي: ص54.

ضابطا في ذلك، لأن العرب هم المخاطبون أصالة وباقي الناس تبعا، وبلسان العرب نزل النص، والعرب كانت لها عادات وأمور تعهدها تؤثر في فهم الخطاب وتحديدا في فهم النص القرآني.

أما تعريف العادة أو العرف عند المفسرين فلم أقف على تعريف لها عند أحد من المفسرين بحسب إطلاعي غير أني وجدت تعريفا حديثا للباحث عبد الفتاح محمد أحمد خضر حيث قال:"هي أحوال العرب السلوكية السائدة وقت نزول القرآن الكريم."[1]، كما أن مصطفى الزرقاء ذكر شروطا للعرف الذي يقدم على المعنى اللغوي الأصلي أو يؤثر في معناه فقال:"أولا: أن يكون هذا العرف قائما في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو موجودا قبله، فأما عرف حدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، واصطلح الناس على استعمال اللفظ فيما بينهم فيه، فإنه لا يجوز حمل خطاب الله عز وجل عليه وخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: أن يكون هذا العرف مطردا أو غالبا.

ثالثا: أن لا يوجد للفظ محل شرعي."[2]

قال محمد حسين الذهبي:"فمعرفة اللغة العربية وأسرارها، تعين على فهم الآيات التي لا يتوقف فهمها على غير لغة العرب، ومعرفة عادات العرب تعين على فهم كثير من الآيات التي لها صلة بعاداتهم، فمثلا قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:37) وقوله:﴿ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَاتُواْ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا ﴾

[1] المصدر السابق:ص7.

[2] قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية-حسين بن علي بن حسين الحربي،ت:منّاع بن خليل القطان،ط1،دار القاسم الرياض،1417هـ/1996م: ج1ص414.

(البقرة:189)، لا يمكن فهم المراد منه، إلا لمن عرف عادات العرب في الجاهلية وقت نزول القرآن، ومعرفة أحوال اليهود والنصارى في جزيرة العرب وقت نزول القرآن، تعين على فهم الآيات التي فيها الإشارة إلى أعمالهم والرد عليهم."[1]

فسنحاول جمع عينات من كلام بعض المفسرين الذين التزموا في تفسيرهم التفسير على الوجه الذي تعرفه العرب من كلامها، حتى يتضح مفهوم معهود العرب عند المفسرين.

1-قوله تعالى:﴿ خِتَـٰمُهُۥ مِسْكٌ ﴾(المطففين:26).

لقد فسرها ابن مسعود[2] أحد أكبر مفسري الصحابة مستندا إلى النظر فى عادات العرب في الخطاب فقال:"ليس بالخاتم الذي يختم، أما سمعتم المرأة من نسائكم تقول:طيب كذا وكذا خلطه مسك؟"[3].

بحكم أن ابن مسعود عربي عالم بعادات العب المؤثرة في فهم الخطاب، كان تفسيره خلاف ظاهر النص، مستندا في ذلك إلى عرف العرب اللغوي، كيف لا والقرآن نزل على العرب أصالة، فيجب فهمه وفق ما عهدوا وفهموا.

---

[1] التفسير والمفسرون-محمد حسين الذهبي،دط،مكتبة وهبة: ج1ص45.

[2] هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب كان إسلامه قديما أول الإسلام، حين أسلم سعيد بن زيد، وزوجته فاطمة بنت الخطاب، وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب بزمان، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وهاجر الهجرتين جميعا إلى الحبشة والمدينة، وتوفي بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين.ينظر:أسد الغابة في معرفة الصحابة-علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير-ط1،دار ابن حزم،1433هـ/2012م:ص736.

[3] تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن-أبي جعفر محمد ابن جريرالطبري،ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1،دار هجر القاهرة ،1422هـ2001م: ج24ص220.

2- قوله تعالى:﴿ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ ﴾ (القارعة:9).

فسرها قتادة[1] وهو أحد كبار التابعين بنفس الطريقة قال:"هي كلمة عربية، إذا وقع رجل في أمر شديد قالوا هويت أمه."[2]

3-قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾(البقرة:15).

معلوم أنه لا يجوز أن ينسب الإستهزاء إلى الله ولكن هذا من باب المشاكلة التي يعرفها العرب وهي من عاداتهم في الخطاب، كما ورد في تفسير القرطبي :"قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ (البقرة:15)، أي ينتقم منهم ويعاقبهم، ويسخر بهم ويجازيهم على استهزائهم، فسمى العقوبة باسم الذنب، هذا قول الجمهور من العلماء، والعرب تستعمل ذلك كثيرا في كلامهم، من ذلك قول عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

فسمى انتصاره جهلا، والجهل لا يفتخر به ذو عقل، وإنما قال ليزدوج الكلام فيكون أخف على اللسان من المخالفة بينهما. وكانت العرب إذا وضعوا لفظا بإزاء لفظ جوابا له وجزاء

---

[1] هو ابن دعامة بن قتادة بن عزيز، وقيل قتادة ابن دعامة بن عكابة، حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين أبو الخطاب السدوسي البصري الضرير الأكمهن وسدوس هو :ابن شيبان بن ذهل بن ثعلبة من بكر بن وائل، مولده في سنة ستين، وتوفي سنة ثماني عشرة ومائة.ينظر:سير أعلام النبلاء-الذهبي: ج5 ص269.

[2] الدر المنثور في التفسير بالمأثور-جلال الدين السيوطي-ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1،مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية القاهرة،1424هـ/2003م: ج8ص606.

ذكروه بمثل لفظه، وإن كان مخالفا له في معناه وعلى ذلك جاء القرآن والسنة، قال الله عز وجل :﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ ﴾(الشورى 40)."[1]

4- قوله تعالى:﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ ﴾(البقرة 51).

ذكر الله تعالى الليالي دون الأيام وسبب ذلك أن ذلك من عادة العرب أن تبدأ حسابها بالليالي دون الأيام، قال ابن الجوزي:"وإنما ذكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة فصارت الأيام تبعا لليالي[2]، وبه قال النووي:"ويعتبر التأريخ بالليالي، لأن الليل عند لعرب سابق على النهار، لأنهم كانوا أميين لا يحسنون الكتابة، و لم يعرفوا حساب غيرهم من الأمم فتمسكوا بظهور الهلال –وإنما يظهر بالليل–فجعلوه ابتداء التاريخ.[3]

5- قوله تعالى:﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ ﴾(البقرة:219).

ما هي المنافع الموجودة في الميسر فنحن اليوم في أعرافنا لا نرى للميسر منفعة ولكن إذا نظرنا إلى المجتمع العربي القديم وأعرافه نجد جوابا لهذا السؤال، قال الآلوسي:"كان لعبهم بالميسر منبعثا عن السخاء وكرم الطبع فإن أهل الثروة والأجواد من العرب كانوا في شدة

[1] الجامع لأحكام القرآن الكريم–لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،ت:محمد بيومي.عبد الله المنشاوي،ط2،مكتبة الإيمان: ج1ص165.

[2] زاد المسير في علم التفسير–أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي–ط1،المكتب الإسلامي دار ابن حزم،1423هـ/2002: ج1.ص69.

[3] المجموع شرح المهذب–أبي زكرياء محي الدينبن شرف النووي،ت:محمد نجيب المطيعي،دط،مكتبة الإرشاد جدة المملكة العربية السعودية: ج17ص208.

البرد وكَلَب الزمان ييسرون –أي فيتقامرون– بالقداح... فإذا قمر أحدهم جعل أجزاء الجزور لذوي الحاجة وأهل المسكنة، واستراح الناس وعاشوا. "[1]

6- قوله تعالى:﴿ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلاَّ هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ ﴾(هود:56).

إن العرب كانت تستعمل الأخذ من الناصية في الوسم بالذلة والخضوع، فتقول:ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي أنه له مطيع يصرفه كيف شاء، وكانوا إذا أسروا الأسير فأرادوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته، ليعتدوا بذلك عليه فخرا عند المفاخرة، فخاطبهم الله بما يعرفون في كلامهم[2]، قال الألوسي:"ومن مذاهبهم جز النواصي كانت العرب إذا أنعمت على الرجل الشريف بعد أسره جزوا ناصيته وأطلقوه فتكون الناصية عند الرجل يفخر بها...قال بشر ابن أبي خازم الأسدي:

وإذا جزت نواصي آل بدر فأدوها وأسرى في الوثاق."[3]

7- قوله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةًۚ ﴾ (هود:70).

لماذا أوجس سيدنا إبراهيم خيفة من ضيفه، من قبل أن يقولوا أو يفعلوا ما يسبب الخوف، ذكر الطبري في تفسيره عن قتادة:"فلما رأى أيديهم لا تصل إليه –أي الطعام–

---

[1] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب –السيد محمود شكري الآلوسي،ت:محمد بهجت الأثري،دط،دار الكتب العلمية: ج2ص70.

[2] جامع البيان –الطبري: ج12ص449.

[3] بلوغ الأرب–الآلوسي: ج3ص15.

نكرهم وأوجس منهم خيفة، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجيء بخير، وأنه يحدث نفسه بشر."[1]

بعد هذا العرض الموجز لعلماء التفسير في استعانتهم بعادات العرب في تفسير القرآن الكريم وبيان أهميته، نذكر بعض الأمثلة التوضيحية لضلال وزيغ من لم يعتبر عادات العرب في فهم الخطاب العربي عامة والنصوص الشرعية خاصة في العصر الحديث، من مستشرقين غربيين ارتقوا مرتقا صعبا في تفسير القرآن وهم الأعاجم الغير معربين، وكذا المنهج الذي ظهر أخيرا المعروف بالمنهج الحداثي في قراءة النص:

كما بينا في المثال المذكور سابقا أن العرب تبدأ حسابها بالليالي، فجاء القرآن على ما عهدته العرب، كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾(البقرة 51)، ومن عجيب جهل المستشرقين ولا عجب فهم أعاجم و لم يتعربوا قط[2]، قام أحد المستشرقين بتفسير للآية تفسيرا غريبا، فعلل ذلك بقوله:"إن العرب يستعملون الليالي في قياسهم للزمن

[1] جامع البيان-الطبري: ج12ص470.

[2] قال محمود شاكر: والمستشرق فتى أعجمي، ناشئ في لسان أمته وتعليم بلاده، ومغروس في آدابها وثقافتها، (ألماني أو انجليزي أو فرنسي)، حتى استوى رجلا في العشرين من عمره أو الخامسة والعشرين فهو قادر أو مفترض أنه قادر تمام القدرة على التفكير والنظر، ومؤهل أو مفترض أيضا أنه مؤهل أن يتزل في ثقافته ميدان "المنهج" و"ما قبل المنهج"، بقدم ثابتة، هذا ممكن أن يكون كذلك، ولكن هذا الفتى يتحول فجأة عن سلوك هذه الطريق ليبدأ في تعلم لغة أخرى، مفارقة كل المفارقة للسان الذي نشأ فيه صغيرا ولثقافته التي ارتضع لبانها يافعا، يدخل قسم اللغات الشرقية في جامعة من جامعات الأعاجم، فيبتدئ تعلم ألف باء تاء ثاء، أو أبجد هوز، ويتلقى العربية نحوها وصرفها وبلاغتها وشعرها وسائر آدابها وتواريخها، عن أعجمي مثله، وبلسان غير عربي، ويقضي في ذلك بضع سنوات قلائل، ثم يتخرج لنا مستشرقا يفتي في اللسان العربي، والتاريخ العربي والدين العربي، عجب وفوق العجب...أرأيت قط رجلا من غير الإنجليز أو الألمان مثلا، مهما بلغ من العلم والمعرفة، كان مسموع الكلمة في آداب اللغة الإنجليزية وخصائص لغتها، وفي تاريخ الأمة الإنجليزية وفي حياة المجتمع الإنجليزي، يدين له علماء الإنجليز بالطاعة والتسليم، أليس غريبا أن يكون غير الممكن ممكنا في ثقافتنا نحن وحدها، دون سائر ثقافات البشر، قديمها وحديثها؟ غريب عجيب لا محالة." رسالة في الطريق لثقافتنا-محمود محمد شاكر-دط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997م:ص67.

بسبب حرارة بلادهم المفرطة، وإن الليل عند العربي هو كاليوم بالنسبة لنا، فإنه لا يخرج من خيمته عادة ما دامت الشمس في السماء، أما حين توشك أن تغرب فعندئذ يخرج من خيمته ويستمتع بجمال السماء ورقة النسيم، كذلك فإن شعراءهم لا يتغنون أبدا بنهار جميل، أما كلمو (ليلى يا ليلى) فإنهم يرددونها في كل أغانيهم."[1]، فجهل المستشرقين بعادات العرب وتأثيرها على المعاني هو سبب إنحرافهم في الفهم والتفسير.

ومن الأمثلة على خطإ المستشرقين في قول الله تعالى:﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ ﴾ سورة هود الآية:70، قال الطبري:"قال قتادة: فلما رأى أيديهم لا تصل إليه أي الطعام نكرهم وأوجس منهم خيفة، وكانت العرب إذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم، ظنوا أنه لم يجئ بخير، وأنه يحدث نفسه بشر."[2]، هذا هو المعنى الصحيح للآية الموافق لما عهدته العرب، غير أن المستشرق "سفاري"، فسر سبب خوف إبراهيم من الضيوف هو عدم مصافحتهم له، مستدلا بأن الضمير في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ ﴾ أي لا تصل إلى إبراهيم، أي لم يصافحوه، فظنهم غرباء فأوجس منهم خيفة[3]، وهذا كله جهل من المستشرق بلسان العرب وعاداتها، قال الدكتور عبد الرحيم الشريف:"وتعليل الخطأ الذي وقع فيه المستشرق، أنه لم يفهم كيف يدل عدم أكل الضيف من طعام المضيف على عداوته للمضيف، لجهله بعادات العرب، فبحسب منهج التفكير

---

[1] المستشرقون والقرآن دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن وآرائهم فيه-إبراهيم عوض،ط1،مكتبة الزهراء القاهرة، 1423هـ/2003م:ص21.

[2] جامع البيان-الطبري: ج12ص471.

[3] المستشرقون والقرآن-إبراهيم عوض:ص19.

المادي، الأصل أن يفرح المضيف لعدم أكلهم، لأنهم كفوه مؤونة الإطعام، أو على الأقل لا يكترث للأمر، فيعد المضيف عدم أكل الضيوف من باب الحرية الشخصية."[1]

ومن الأمثلة على ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ سورة الإسراء الآية:13، قد جاءت الآية الكريمة بحسب عادة تعرفها العرب، حين كان العربي إن أراد القيام بعمل ذي شأن، طير طائرا فكانت عادة العرب في الطائر الذي يجئ من ذات اليمين فيتبرك به، والطائر الذي يجيء من ذات الشمال يتشاءم به، فجعل الطائر اسما للخير والشر جميعا، فاقتصر في ذكره في الآية الكريمة دون ذكر كل واحد منهما على حياله، لدلالته على المعنيين."[2]، ومن غريب ترجمة المستشرقين زعم أحدهم أن القرآن الكريم يقول بأن الكافر يأتي يوم القيامة وفي رقبته حمامة معلقة.[3]

ومن الأمثلة أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة الصافات الآية:43، يقول الإمام السيوطي:"بياض البيضة يترع عنها فوفها، وغشاؤها الذي يكون في الفرق، وعن السدي: بياض البيض حين يترع قشره، وعن عطاء الخرساني: هو السحاء الذي يكون بين القشرة العليا ولباب البيضة، وعن السدي أيضا قال: البيض في عشه، وعن زيد بن أسلم قال: البيض الذي يكنه الريش، مثل بيض النعام الذي أكنه الريش

[1] استدلال المفسرين بعادات العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم دراسة تطبيقية-عبد الرحيم الشريف:ص19.

[2] أحكام القرآن-أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص،ت:محمد الصادق قمحاوي،دط،دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان،1412هـ/1992م: ج5ص17.

[3] اللغة الشاغرة-عباس محمود العقاد،دط،نهضة مصر القاهرة،1995م:ص75.

من الريح فهو أبيض إلى الصفرة فكانت تترقرق، فذلك المكنون. "[1]، نقولات السيوطي عن السلف في تفسير البيض المكنون تصب في معنى واحد ألا وهو الستر والحفظ من المس، وهذا ما يتماشى مع اللسان العربي في معنى كلمة مكنون أي محفوظ، ومستور، إلا أن بعض التأويلات العلمانية المعاصرة والحداثيين[2]، إنحرفوا عن المنهج القويم في التفسير وابتعدوا عن فقه اللسان العربي، فكان تفسيرهم هو أقرب للتحريف وتبديل الكلم عن مواضعه حيث تأول المستشرق "مونتيه" الآية بأن التشبيه واقع على العيون الجميلة بالبيض[3]، مستدلا على ذلك بالشعر الشرقي، وهذا خلط كبير منه وجهل بمعهود العرب، فالعرب تشبه أجساد النساء الحسان بالبيض المكنون، وهذا موجود بكثرة في شعر العرب.

ومن تأويلات العلمانيين والحداثيين أيضا تأويل محمد شحرور للعورة الواجب على المرأة سترها، فأول الجيوب في قوله تعالى: ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ سورة النور الآية:31 بالعورة المغلظة والثديين وأسفل الإبطين، ويرى أن مسوغ تأويله الشاذ للجيب، أن كلمة "جيب" تعود إلى الجذر "جوب" الذي يدور على معنى الخرق، قال محمد شحرور:"والجيب جاء من "جيب" كقولنا جبت القميص أي قورت جيبه وجيبته أي

---

[1] الدر المنثور في التفسير بالمأثور-جلال الدين السيوطي-ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية القاهرة، 1424هـ/2003م: ج12ص404.

[2] لقد كان محمد محمود شاكر من المدافعين بل ومن الحماة المتجلدين، الذين أفنوا حياتهم في الدفاع عن الأمة العربية الإسلامية ومقوماتها من ثقافة وأدب وكل علم إسلامي قال رحمه الله:"وهذا الغرض هو الدفاع عن أمة برمتها، هي أمتي العربية الإسلامية، وجعلت طريقي أن أهتك الأستار المسدلة التي عمل من ورائها رجال فيما خلا من الزمان، ورجال آخرون قد ورثوهم في زماننا، وهمهم جميعا كان أن يحققوا للثقافة الغربية الوثنية كل الغلبة على عقولنا، وعلى مجتمعنا وعلى حياتنا، وعلى ثقافتنا، وبهذه الغلبة يتم انهيار الكيان العظيم، الذي بناه آباؤنا في قرون متطاولة، وصححوا به فساد الحياة البشرية في نواحيها الإنسانية والأدبية والأخلاقية والعملية والعلمية والفكرية، وردوها إلى طريق مستقيم، علم ذلك من علمه وجهله من جهله."، ينظر:أباطيل وأسمار-محمود محمد شاكر،دط،مكتبة الخانجي القاهرة،1385هـ:ص7.

[3] المستشرقون والقرآن-ابراهيم عوض:ص40.

جعلت له جيبا، والجيب كما نعلم هو فتحة لها طبقتان لا طبقة واحدة، لأن الأساس في "جيب" هو فعل "جوب" في اللسان العربي له أصل واحد وهو الخرق في الشيء ومراجعة الكلام السؤال والجواب فالجيوب في المرأة لها طبقتان أو طبقتان مع خرق وهي ما بين الثديين وتحت الثديين وتحت الإبطين والفرج والإليتين هذه كلها جيوب."[1]، يقول ابن منظور مبينا إن كلمة " جُيُوبِهِنَّ " تعود إلى جذر (جيب) وليس (جوب) يقول ابن منظور مبينا ذلك:"جيب: الجيب: جيب القميص والدرع، والجمع جيوب، وفي التنزيل العزيز:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ سورة النور الآية:31، وجبت القميص: قورتُ جيبه، وجيبته:جعلت له جيبا، وأما قولهم جُبتُ جَيبَ القميص فليس جُبتُ من هذا الباب لأن عين جُبتُ إنما هو من جَابَ يَجوبُ، والجيبُ عينه ياء لقولهم جُيُوب فهو على هذا من باب سَبطٍ وسبَطرٍ "[2]، وجاء في مختصر القرآن الكريم لأحمد شاكر:"قوله:﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ يعني المقانع يعمل لها صنفات ضاربات على صدور النساء، لتواري ما تحتها من صدرها وترائبها، ليخالفن شعار نساء الجاهلية، فإنهن لم يكن يفعلن ذلك، بل كانت المرأة تمر بين الرجال مسفخة بصدرها، لا يواريه شيء وربما أظهرت عنقها وذوائب شعرها وأقرطة آذانها، فأمر الله المؤمنات أن يستترن في هيئاتهن وأحوالهن."[3]، وقال عبد الرحيم الشريف:"وهكذا فإن جهل شحرور بعادات نساء العرب زمن نزول القرآن

---

[1] الكتاب والقرآن قراءة معاصرة-محمد شحرور،دط،الأهالي للطباعة والنشر سورية دمشق: ص607.

[2] لسان العرب –ابن منظور: ج3ص249.

[3] عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم-أحمد شاكر-ت:أنور الباز،ط10،دار الوفاء مصر،1434هـ/2013م:ص581.

الكريم إضافة إلى جهله بالجذر الصحيح لكلمة "جيوهن" قاده إلى ذاك التأويل الشاذ المنحرف عن الحق، المخالف لما أجمع عليه الناس منذ خمسة عشر قرنا"[1]

وهذه الأمثلة من التأويلات شابهت الباطنية المتقدمين في عدم مراعاة لا عادات العرب زمن التنزيل، ولا حتى المعاني الأصلية للألفاظ التي وضعت لها، يذكر منها الشيء الكثير فهد الرومي في كتابه تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في إنحراف التفسير في القرن الرابع عشر، وبيّن المؤلف مدى التحريف الذي وقع فيه هؤلاء المفسرون العصريون[2].

من تأويلات محمد عبده صاحب ومؤسس المدرسة الحديثة للتفسير[3]، أنه اعتبر الملائكة والشياطين أرواح تتصل بأرواح الناس، فهو يقول:"إن إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي صلى الله عليه وسلم، وقد أسند إلى هذه العوالم الغيبية، وخواطر الخير التي تسمى إلهاما، وخواطر الشر التي تسمى وسوسة، كل منهما محله الروح، فالملائكة والشياطين إذن أرواح تتصل بأرواح الناس، فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا، لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا فإنها تتصل بها من طرق أجسامنا، ونحن لا نحس بشيء يتصل بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس، فإذن

---

[1] استدلال المفسرين بعادات العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم دراسة تطبيقية-عبد الرحيم الشريف:ص35.

[2] تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر-فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي-ط1،مكتبة الملك فهد الرياض السعودية،1424هـ/2003م:ص23ص58ص76.

[3] قال محمد الذهبي ناقدا لهذه المدرسة بعد أن ذكر محاسنها وجهودها في خدمة كتاب الله تعالى:"أما ما نأخذه على هذه المدرسة، فهو أنها أعطت لعقلها حريه واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التي جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة، إلى المجاز أو التمثيل، وليس هناك ما يدعوا لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب، استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لا يكون إلا ممن جهل قدرة الله، كما أنها بسبب هذه الحرية العقلية الواسعة جارت المعتزلة في بعض تعاليمها وعقائدها، وحملت بعض ألفاظ القرآن من المعاني ما لم يكن معهودا عند العرب في زمن نزول القرآن، وطعنت في بعض الأحاديث، تارة بالضعف وتارة بالوضع، مع أنها أحاديث صحيحة رواها البخاري ومسلم."،ينظر التفسير والمفسرون-محمد الذهبي:ج2ص402.

هي من عوالم غير عالم الأبدان قطعا، والواجب على المسلم في مثل هذه الآية الإيمان بمضمونها، مع التفويض أو الحمل على أنها حكاية تمثيل، ثم الإعتبار بها بالنظر في الحِكم التي سيقت لها القصة."[1]، إن ظاهر كلام محمد عبده أن إيحاء الملك بالخير وإيحاء الشيطان بالشر إنما هي من باب الخواطر التي أودعت في نفوس البشر، وهي روح لا ندرك كنهها وحقيقتها، ولعله يتضح كلامه أكثر حين قال:"أفلا تزعم أن لله ملائكة في الأرض وملائكة في السماء؟ هل عرفت أين تسكن ملائكة الأرض وهل حددت أمكنتها ورسمت مساكنها؟ وهل عرفت أين يجلس من يكون منهم عن يمينك ومن يكون منهم عن يسارك هل ترى أجسامهم النورانية تضيء لك الظلام، أو تؤنسك إذا هجمت عليك الأوهام؟ فلو ركنت إلى أنها قوى أو أرواح منبثة فيما حولك وما بين يديك وما خلفك، وأن الله ذكرها لك بما كان يعرفها سلفك، وبالعبارة التي تلقنتها عنهم، كي لا يوحشك بما يدهشك، وترك لك النظر، فيما تطمئن إليه نفسك من وجوه تعرفها."[2]، ومن التأويلات التي تنفي وجود الجن وعالمه ما قاله محمد البهي:"وقد يطلق الجن على فريق خير من الناس، غريب وغير معهود، ولأنه غريب وغير معهود كان بمثابة غير المحسوس والغير مرئي، يقول الله تعالى"وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا" فهذا النفر من الجن الذي أنصت للقرآن الكريم بمكة يقال إنه قدم إليها من يثرب قبل الهجرة بسنتين، وبعد إيمانه أخذ على عاتقه الدعوة إلى دين الله بين قومه، بعد أن عاد من الحج إلى يثرب ثانية، ويقال إنه هو نفسه الفريق الذي ذكر في سورة الجن قال تعالى: ﴿ قُلْ اوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ إِسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّاسَمِعْنَا قُرْءَاناً عَجَباً ۝١ ﴾ سورة الجن الآية:1، وأطلق

[1] تفسير القرآن الحكيم المشتهر بتفسير المنار-محمد عبده ومحمد رشيد رضا-ط2،دار المنار القاهرة،1366هـ/1947م: ج1ص266ص267.

[2] تفسير المنار-محمد عبده: ج1ص273.

على هذا النفر اسم الجن لأنه كان غير معروف بين المكيين وكان غريبا عن مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ومن هذا النفر تكونت نواة الأنصار بالمدينة."[1]

أما الجواب على هذه التأويلات للجن، وبيان وجه الغلط في ذلك:

أولا: إن المعنى اللغوي لكلمة جن يدل على خلاف ما ذهب إليه المتأولون ففي لسان العرب قال:"جن الشيء يجنه جنا، وكل شيء ستر عنك فقد جن عنك، وجنه الليل ستره، وفي الحديث: جن عليه الليل أي ستره، وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، ومنه سمي الجنين لاستتاره في بطن أمه"[2]، فمن لغة العرب يتضح أن الجن هم مخلوقات غير ظاهرة.

ثانيا:كما أننا إذا نظرنا في استعمال العرب للفظة الجن نجد أنهم يعتقدون بوجود مخلوقات لها قدرات غير التي للإنسان ومن قدراتها عدم الظهور للأبصار وهذه الحقيقة أكدها القرآن في غير ما موضع، فيكون هذا التفسير مخالفا لما عهدته العرب عن الجن، قال عبد الكريم نوفان عبيدات في معرض مناقشته لرأي محمد عبده قال:"ومما يوضح بطلان هذا التأويل لمفهوم الملائكة والشياطين أنه يتضمن انكار ما دلت عليه النصوص من قدرتهم على التمثل، ومن سجود الملائكة لآدم حقيقة، وامتناع ابليس."[3]، قال محمد حسين الذهبي:"وهذا التأويل ينافي صريح القرآن في مواضع كثيرة، فضلا على أنه لا يقوم على دليل يصححه."[4]

---

[1] من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك-محمد البهي-ط2،مكتبة وهبة القاهرة،1415هـ/1994م:ص133.

[2] لسان العرب-ابن منظور: ج3ص217.

[3] عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة-عبد الكريم نوفان عبيدات-ط2،دار اشبيليا الرياض المملكة العربية السعودية،1419هـ/1999م:ص123.

[4] التفسير والمفسرون-محمد الذهبي: ج2ص390.

ومن الأمثلة على التفسير العصري الذي يخل بقواعد علم التفسير، ويهمل أحد ركائزه وأسسه ألا وهو مراعاة معهود العرب في الخطاب والاستعانة بعادات العرب لفهم صحيح للقرآن الكريم ما قاله محمد عبده في تفسير طير أبابيل والحجارة من سجيل، حيث أول الحجارة التي أهلكت جيش الحبشة إلى جراثيم أفشت فيهم العلل والمرض حتى هلكوا، قال محمد عبده:"ولقد بينت لنا هذه السورة الكريمة أن ذلك الجدري أو تلك الحصبة نشأت من حجارة يابسة سقطت على أفراد الجيش بواسطة فرق عظيمة من الطير مما يرسله الله مع الريح فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم بعض الأمراض وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذي تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات، فإذا اتصل بجسد دخل في مسامه فأثار فيه تلك القروح التي تنتهي بإفساد الجسم، وتساقط لحمه، وإن كثيرا من هذه الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في إهلاك من يريد إهلاكه من البشر، وأن هذا الحيوان الصغير الذي يسمونه الآن بالمكروب لا يخرج عنها وهو فرق وجماعات لا يحصي عددها إلا بارئها ولا يتوقف ظهور قدرة الله تعالى في قهر الطاغين على أن يكون الطير في ضخامة رؤوس الجبال ولا على أن يكون من نوع عنقاء مغرب ولا على أن يكون له ألوان خاصة به ولا على معرفة مقادير الحجارة وكيفية تأثيرها فلله جند من كل شيء...هذا ما يصح الإعتماد عليه في تفسير السورة وما عدا ذلك فهو مما لا يصح قبوله إلا بتأويل إن صحت روايته، ومما تعظم به القدرة أن يأخذ من استعز بالفيل وهو أضخم حيوان من ذوات الأربع جسما ويهلك بحيوان صغير لا يظهر للنظر ولا يدرك بالبصر حيث ساقه القدر، لا ريب عند العاقل أن هذا أكبر وأعجب وأبهر."[1]، قال محمد صادق عرجون:"وهل في عرف اللغة العربية واستعمالاتها إطلاق لفظ "الطير" على الحيوان المسمى بالمكروب، فهل كان القوم المخاطبون في وقت المواجهة

[1] تفسير جزء عم-محمد عبده-ط3،مطبعة مصر،1341هـ :ص158.

بالخطاب التعجبي الذي افتتحت به السورة يعلمون شيئا عن هذا الحيوان المسمى بالمكروب."[1]، ويقول محمد الذهبي في تعليقه على تفسير محمد عبده للحجارة بالجراثيم:"وهذا ما لا نقره عليه لأن هذه الجراثيم التي اكتشفها الطب الحديث لم يكن للعرب علم بها وقت نزول القرآن، والعربي إذا سمع لفظ الحجارة في هذه السورة لا ينصرف ذهنه إلى تلك الجراثيم بحال من الأحوال، وقد جاء القرآن بلغة العرب، وخاطبهم بما يعهدون ويألفون."[2].

ومن الأمثلة للمستشرقين نذكر مثالا واحدا على سبيل التمثيل، قال:"من النقاط التي يكررها الخوري في أماكن عديدة من كتبه، كون رسالة النبي صلى الله عليه وسلم هي قومية عربية، وليست انسانية عالمية، وكون انتشارها بين غير العرب هو نتيجة حركة الفتح بعده وحسب واستدل بتفسيره لقوله تعالى:"ولتنذر أم القرى ومن حولها"."[3]، والصواب ما فسره علماء الإسلام بما يوافق اللسان العربي، قال القرطبي:"أم القرى:يريد مكة والمراد أهلها، فحذف المضاف أي أنزلناه للبركة والإنذار، ومن حولها:يعني جميع الآفاق."[4]، قال محمد عزة دروزة في بيان سبب ضلال الملحدين في تفسير القرآن:"وكثيرا ما يتجاهلون أو يجهلون أو لا ينتبهون إلى الصلة الوثيقة بين القرآن والبيئة التي نزل فيها، وبين القرآن والسيرة النبوية، فينظرون في آياته وفصوله نظرة منعزلة عن ذلك وغير متسقة مع ظروف نزولها وبواعثها

---

[1] نحو منهج لتفسير القرآن-محمد الصادق عرجون-ط3،الدار السعودية المملكة العربية السعودية،1399هـ/1979م:ص34.

[2] التفسير والمفسرون محمد الذهبي: ج2ص417.

[3] القرآن والمبشرون-محمد عزة دروزة-ط2،المكتب الإسلامي بيروت،1399هـ/1979م: ص268.

[4] الجامع لأحكام القرآن-القرطبي: ج4ص328.

أسبابها وجوّها، وكثيرا ما يكونون جاهلين للغة التي نزل بها القرآن، وأساليبها الخطابية، فيتعسفون في تأويل لغة القرآن."[1].

هذه نماذج من التفاسير التي لم تلتزم في تفسيرها بضابط معهود العرب، وبيان مدى الخلل الحاصل في هذا التفسير بسبب إهمال هذا الضابط، ليتبين مدى ضرورة مراعاته والتمسك به حتى لا يقع المرء في التيه والضلال في تفسير كلام الله عز وجل، والله أعلم.

المطلب الثاني: أنواع معهود العرب.

معلوم أن جزئية معهود العرب هي علاقة أو أثر عادات العرب بلسانها، أو هو تأثير عادات المجتمع العربي على خطاب العرب وعلى فهم مدلول هذا الخطاب، لذا فحري بالباحث أن يدرس هذه العادات فيعلم أنواعها ويميز بين المؤثر منها والغير مؤثر، فالعادات المؤثرة هي تلك العادات التي تؤثر في معنى الخطاب، وقد دل الكتاب على أن هذه الشريعة المباركة نزلت على النبي الأمي وإلى العرب الأميين، فيجب مراعاة ما عهدوا، وللعرب خصائص اختصوا بها من أخلاق وصفات تميّزهم عن سائر الأمم أهلتهم لحمل رسالة رب العالمين، قال ابن تيمية:"وسبب هذا الفضل ما اختصوا به في عقولهم وألسنتهم، وأخلاقهم وأعمالهم...فالعلم مبدؤه العقل وهو قوة الفهم وتمامه قوة المنطق الذي هو البيان والعبارة، والعرب أفهم وأحفظ، وأقدر على البيان، وأما العمل فإن مبناه على الأخلاق، وهي الغرائز المخلوقة في النفس، وغرائزهم أطوع للخير، فهم أقرب للسخاء والحلم والشجاعة والوفاء وغير ذلك من الأخلاق المحمودة."[2]، وقال الشاطبي:"معنى كونها أمية أي منسوبة إلى الأميين، وإن لم تكن كذلك لزم أن تكون على غير ما عهدوا فلم تكن لتتزل من أنفسهم مترلة ما تعهد، وذلك خلاف ما وضع عليه الأمر فيها، فلابد أن تكون على ما يعهدون،

[1] القرآن والملحدون-محمد عزة دروزة-ط1،المكتب الإسلامي بيروت،1393هـ/1983م: ص106.

[2] المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم-محمد بن علي بن محمد البعلي:ص71.

والعرب لم تعهد إلا ما وصفها الله به من الأمية، فالشريعة إذا أمية."[1]،من كلام الشاطبي يتضح أن العادات المعتبرة شرعا هي تلك العادات التي توافق أمية العرب و أمية الشريعة، فما لم يوافق أمية العرب ليست من العادات المؤثرة، ولقد ذكر الشاطبي أمثلة توضيحية على ذلك، ومثل لها بأمثلة من القرآن الكريم، كما أن هناك مؤلفات حاولت جمع أعراف وعادات العرب فهي تفيد كثيرا إذا ما قرناها بخطاب القرآن الكريم، ومن هذه المؤلفات:دواوين الشعر العربي الجاهلي وشروحا ته، و كل ما كتب عن العرب وأيامها وأخبارها وعلومها، وأغلب هذه المؤلفات صادرة عن حب للعرب توارثناه أو رد على قوم تنقصوا العرب، من عصبية أو سوء نية، وكيد للدين[2].

بعد هذا العرض الموجز سنحاول التمثيل وتصنيف أهم العادات العربية المؤثرة في فهم الخطاب، بعد استقراء العادات العربية يمكن تصنيفها كما يلي:

أ-**علوم العرب**:

اعتنى العرب ببعض العلوم التي تتماشى مع أميتهم وحاجتهم اليومية كسائر الأمم منها:

1-علم الاهتداء في البراري:وهو علم يتعرف به أحوال الأمكنة، من غير دلالة عليه بالأمارات المحسوسة دلالة ظاهرة أو خفية، لا يعرفها إلا من تدرب فيها كالاستدلال برائحة التراب، ومسامتة الكواكب الثابتة، ومنازل القمر، إذ لكل بقعة رائحة مخصوصة، ولكل كوكب ونجم سمت يهتدى به كما قال الله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلذِى جَعَلَ لَكُمُ

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص54.

[2] ومن الذين ردوا على الشعوبية الذين يقولون بأن لا فضل للعرب وأنهم في الفضل كسائر الشعوب والأمم ابن قتيبة في كتابه: فضل العرب والتنبيه على علومها، رد به على كل دعوى للشعوبية.

ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلاَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾(الأنعام:97) ،وقوله:﴿ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾(النحل:16) ، وقوله:﴿ وَٱلْقَمَرُ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٨﴾ لاَ ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلاَ ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾(يس:39و40) ،وقوله:﴿ هُوَ ٱلذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾(يونس:5)وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ﴾ (الإسراء:12) ،وقوله تعالى:﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُوماً لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾(الملك:5) ،وقوله:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلاَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾(البقرة:189).[1]

2-علم الأنواء:وأوقات نزول الأمطار ،فقد كانت للعرب مخايل لصوادق الأنواء لا تكذب، فعرفوا السحاب الممطر من غيره، ووقفوا على الرياح وخواصها ،وفهموا ذلك من

[1] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص344.وينظر:الموافقات-الشاطبي: ج2ص54.

علائم ظهرت لهم، فبين الشرع حقها من باطلها، قال ابن قتيبة:"وما تنفرد به العرب من العلوم، العلم بمناظر النجوم، وأسمائها وأنوائها، ومطالعها ومساقطها، والإهتداء بها...وهم أيضا أعلم الناس بمخايل السحاب، وماطره ومخلفه، وتقول: أرنيها نمرة أركها مطرة، ويقولون: إذا رأيت السماء كأنها بطن أتان قمراء فذلك الجود...وهم أعلم الناس بالرياح، ومهابها ولواقحها، وحوائلها، والبروق وما كان منها مبشرا، وما كان منها خلبا، وربما انتقلوا بلمعانه، ولم يبعثو رائدا ثقة لعلمهم به، ويحمدون المطر إذا كان في سرار الشهر وآخر ليلة منه،"[1]، وللعرب أشعار كثيرة غير محصورة يتبين من خلالها مدى علمهم بالأنواء ومواطن السحاب نذكر منها

:قال الشاعر:

غداة توخى الملك يلتمس الحبى فصادف نجما كان كالدبران

وقال آخر:

قد جاء سعد موعدا بشره مخبـــرة جنـــوده بحـــره

يعني سعد الأخبية، وجنود الحشرات، وهو يطلع في قبل الدفاء فتنتشر، ويخرج ما كان منها مستترا فسمي سعد الأخبية لذلك، وللعرب أسجاع في طلوع النجوم تدل على علم جم كثير كقولهم: إذا طلع سهيل برد الليل، وخيف السيل، وكان للحوار الويل، فإذا طلع النجم اتقي اللحم، وخيف السقم، وأما العلم بالسحاب وما يأتي به، كقولهم: مطرنا

[1] فضل العرب والتنبيه على علومها-لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري-ت:وليد محمود خالص،ط1،المجمع الثقافي،الإمارات العربية المتحدة،1998م: ص134 .137.

بالعين إذا نشأ السحاب من ناحية القبلة، ويقولون العين اسم لماعن قبلة العراق، والعين أيضا مطر أيام لا تقلع.[1]

ومما ورد ذكره في الكتاب العزيز قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلذِے يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٣﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ (الرعد:12) ،وقال:﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلذِے تَشْرَبُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ ﴿٧٢﴾ (الواقعة:68-69)، وقال:﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجاً ﴿١٤﴾ ﴾ (النبأ:14) وقال:﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (الواقعة:82) وقال:﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾ (الحجر:22) ،وقال:﴿ وَاللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلاَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾ (فاطر:9) ،وقد روى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٥﴾﴾ قال:شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا

[1] المصدر السابق:ص138.

وبنجم كذا وكذا"وفي الحديث:"أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي"[1]، بهذا يكون الشرع قد بين الحق من الباطل في أمر الأنواء.[2]

3-علم الفراسة:

الفراسة مما اشتهر العرب بإتقانها والعلم بها، تجربة واستقراء لأمور الناس عبر الأجيال، فكان كل العرب قافة إلا أنه تميزت بعض القبائل عن غيرها كقبيلة بني مدلج، قال الآلوسي:"وهو الاستدلال بهيئة الإنسان وأشكاله وألوانه، على أخلاقه وفضائله ورذائله، وربما يقال: هي صناعة صيادة لمعرفة أخلاق الانسان وأحواله."[3].

وللعرب أشعار كثيرة وأسجاع كثيرة دونوا لأنفسهم ما برعوا فيه من علم اختصوا به أو شاركوا غيرهم فيه، وقد نقل وجمع ابن قتيبة جملة من ذلك منها، قال رحمه الله:"ومن ذلك الفراسة والتوسم، يتوهم كثير من الناس أن لا حظ للعرب فيهما، ولها منهما الحظ الأوفر، قال الشاعر[4]:

لا تسأل المرء عن خلائقه في وجهه شاهد من الخبر

وقال آخر[5] في رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

[1] الحديث رواه زيد بن خالد الجهني، وأخرجه: البخاري(ج3 رقم:846) ومسلم(ج1 رقم:71).

[2] الموافقات-الشاطبي: ج2ص56.وينظر:بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص246.

[3] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص263.

[4] هو سلم بن عمرو بن حماد الملقب بالخاسر، لأنه باع مصحفا واشترى بثمنه طنبورا، أو لأنه أنفق مالا وافرا على الأدب، من شعراء العصر العباسي، توفى سنة 186هـ، ولد بالبصرة ونشأ بها ثم تحول إلى بغداد، له شعر في المدح والهجاء والوصف والغزل.ينظر:الأغاني-الأصفهاني-ط1،دار الكتب العلمية بيروت،1992م:ص193.

[5] هو عبد الله بن رواحة الصحابي الجليل رضي الله عنه، وأحد شعراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان ممن شهد العقبة، وكان أول خارج للغزو وأول قافل، سقط شهيدا في غزوة مؤتة في السنة الثامنة للهجرة.أسد الغابة في معرفة الصحابة-ابن الأثير:ص667.

لو لم تكن فيه آيات مبينة كانت بداهته تنبيك بالخبر"[1]

4-علم التاريخ والأمم الماضية:إن تناقل أخبار من سبق من الأمم والأفراد ضرورة إنسانية ولكن تتفاوت الأمم في اتقان هذا الفن من الضبط والاعتناء به، قال الآلوسي:" من تتبع شعر العرب واستقراه، ووقف على ما قالوه من مثل واستقصاه، تبين له ما كان للعرب الأولين، من اليد الطولى والقدم الراسخة في معرفة أخبار الأمم الماضين، وأخلاقهم وسيرهم، ودولهم وسياستهم، لاسيما شعرهم فهو سجل أخلاقهم، وخزانة معارفهم، ومستودع علومهم وحافظ آدابهم، ومعدن أخبارهم، ومرجعهم عند اختلافهم في الأنساب والحروب، فلذلك قيل(الشعر ديوان العرب)."[2]، أما مادة كلمة "التاريخ" ذكر العلماء مصدرها ومعانيها في كتب اللغة، ففي لسان العرب قال ابن منظور:"التأريخ:تعريف الوقت، والتوريخ مثله، أرخ الكتاب ليوم كذا:وقته، وقيل إن التأريخ الذي يؤرخه الناس ليس بعربي محض، وإن المسلمين أخذوه عن أهل الكتاب."[3]، وقد جمع الإمام الصولي في كتابه أدب الكتاب من ذلك كثير، قال رحمه الله:"تاريخ كل شيء غايته ووقته الذي ينتهي إليه، ومنه فلان تاريخ قومه في الجود، أي الذي انتهى إليه ذلك، وسئل بعض أهل اللغة عن ما معنى ذلك، فقال معنى التأخير، وقال آخر هو إثبات الشيء، ويقال ورخت الكتاب توريخا لغة تميم، وأرخته تأريخا لغة قيس."[4]، وكما أن لكل قوم ولكل أمة تأريخات كميلاد عيسى عند النصارى وغيره، كان للعرب مثل ذلك فأرخوا بكل حادثة عظيمة وقعت لهم وبموت أحد أسيادهم وكبرائهم، قال الصولي:"ولكل نبوة ومملكة تاريخ، فأما العرب فكانوا يؤرخون

---

[1] فضل العرب والتنبيه على علومها-لابن قتيبة:ص141.

[2] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب-للآلوسي: ج3ص210.

[3] لسان العرب-ابن منظور: ج1ص84.

[4] أدب الكتاب-أبي بكر محمد بن يحيى الصولي-ت:محمد بهجت ومحمود شكري الآلوسي،دط،المطبعة السلفية مصر القاهرة،1341هـ:ص178.

بالنجوم قديما، وهو أصل ومنه صار الكتاب يقولون نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم، ... وكانت العرب تؤرخ بكل عام يكون فيه أمر مشهود متعارف، فأرخو بعام الفيل... وأرخت العرب بعام الخنان لأنهم تماوتوا فيه وعظم عندهم أمره فقال النابغة الجعدي:

فمن يكن سائلا عني فإني من الشبان أيام الخنان

مضت مائة لعلم ولدت فيه وعشر بعد ذاك وحجتان

وأرخت قريش بموت هشام بن المغيرة المخزومي لجلالته فيهم، وروي عن الزهري والشعبي أن بني اسماعيل أرخوا من نار ابراهيم عليه السلام إلى بنائه البيت حين بناه مع اسماعيل، وأن بني اسماعيل أرخوا من بناء البيت إلى تفرق معد، ثم كانوا يؤرخون بشيء شيء إلى موت كعب بن لؤي، ثم أرخوا بعام الفيل إلى أن أرخ عمر بن الخطاب رضي الله عنه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، وغلبت العرب الليالي على الأيام في التاريخ لأن ليلة الشهر سبقت يومه ولم يلدها وولدته، ولأن الأهلة لليالي دون الأيام وفيها دخول الشهر، وما ذكرها الله عز وجل إلا قدم الليالي دون الأيام."[1]

أما ورود القرآن على ما عهدوا من الأخبار فمن ذلك كثير، وكذلك في السنة، قال الشاطبي:"وأكثره من الأخبار بالغيوب التي لم يكن للعرب بها علم، لكنها من جنس ما كانو ينتحلون، قال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ مِنَ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (آل عمران:44)، وقال تعالى:﴿ تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ

[1] المصدر السابق:ص179.

نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا ﴾(هود:49)، وفي الحديث قصة أبيهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في بناء البيت وغير ذلك مما جرى"[1]

5-علم الطب:كان العرب على معرفة الطب المبني في غالب الأمر على تجربة قاصرة على بعض الأشخاص متوارثا عن مشايخ الحي وعجائزه، وربما يصح منه البعض إلا أنه ليس على قانون طبيعي[2]، قال الشاطبي في هذا الصدد :"فقد كان في العرب منه شيء لا على ما عند الأوائل، بل مأخوذ من تجارب الأميين، غير مبني على علوم الطبيعة التي يقررها الأقدمون، وعلى ذلك المساق جاء في الشريعة، لكن على وجه جامع شاف، قليل يطلع منه على كثير، فقال تعالى:﴿ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُوٓاْ ﴾ (الأعراف 31)، وجاء في الحديث التعريف ببعض الأدوية لبعض الأدواء، وأبطل من ذلك ما هو باطل، كالتداوي بالخمر والرقى التي اشتملت على ما لا يجوز شرعا."[3]، ومن أشهر الأطباء العرب الذين حفظت كلماتهم ووصفاتهم الطبية، واشتهر أمرهم ونبغوا في هذا الفن حتى ذيع صيتهم، نذكر منهم:الحرث بن كلدة، النضر بن الحارث، ابن حذيم، ومن أسماء العلل لدى العرب نذكر منها أمثلة أيضا: "الحمى" وتكنى بأم ملدم، و"اليرقان" وهو داء يصفر الإنسان، والصداع والشقيقة والسعال والزكام، والزحير، والحصر والأسر والحصى والحكة، وغيرها من العلل[4].

---

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص56.

[2] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص327.

[3] الموافقات-الشاطبي: ج2ص57.

[4] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص328ص339.

6-علم الكهانة والعرافة والعيافة والقيافة: وما كان أكثره أو جميعه باطلا كالعيافة والقيافة والزجر وضرب الرمل والضرب بالحصى والطيرة .

أما القيافة والعيافة: فكانت مما تتميز به العرب وكان أمرا خاصا فيهم قال الآلوسي:"إن علم القيافة على قسمين : قيافة الأثر ويقال لها العيافة، وقيافة البشر أما العيافة فهي علم باحث عن تتبع آثار الأقدام والأخفاف والحوافر ...وأما قيافة البشر فهي الاستدلال بهيئات أعضاء شخصين على المشاركة والإتحاد بينهما في النسب والولادة في سائر أحوالهما وأخلاقهما."[1]، وقال ابن قتيبة:"هي شبيهة بالفراسة في معرفة الأشباه في الأولاد، والقرابات ومعرفة الآثار."[2]، والقيافة محكوم بها في الشرع ففي الصحيح من حديث مجزز الأسلمي أنه دخل فرأى أسامة ابن زيد وزيدا وعليهما قطيفة قد غطيا رؤوسهما وبدت أقدامهما فنظر إليها مجزز الأسلمي وقال: ﴿إن هذه الأقدام بعضها من بعض﴾[3] فسر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم. وهي ناشئة من كمال الفطنة والذكاء، ومن توابع غزارة العقل. وأما الكهانة والعرافة: فكان هذا العلم في العرب شائعا فيهم وعليه مدار فصل خصوماتهم ومنازعاتهم فالكهانة هي ادعاء علم الغيب، كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والعرافة قسيمة للكهانة، فالكهانة مختصة بالأمور المستقبلية، والعرافة بالأمور الماضية[4]، وخط الرمل، والضرب بالحصى، والطيرة، كلها أمور أبطلتها الشريعة ونهت عنها، لأن وظيفتها الاطلاع على الغيب، وهذا أمر خاص بالله عز وجل، وفي المقابل أقرت الشريعة الفأل لا من جهة تطلب الغيب، فإن الكهانة والزجر كذلك، وأكثر هذه

---

[1] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب-الآلوسي: ج3ص261.

[2] فضل العرب والتنبيه على علومها-ابن قتيبة:ص144.

[3] أخرجه البخاري(رقم:3731) ومسلم(1459).

[4] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب-للآلوسي: ج3ص274. وينظر: فضل العرب و التنبيه على علومها-لابن قتيبة: ص146.

الأمور تخرص على علم الغيب من غير دليل، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم بجهة من تعرف علم الغيب مما هو حق محض، وهو الوحي.[1]

7-علم الشعر والقريض والخطابة: من المعلوم بداهة أن العرب قد برعوا في الشعر والخطابة، فقد كان البيان مبتغاهم ومحل معترك الفرسان منهم، ألا ترى أن القرآن أبهرهم لما وجدوا من قوة بلاغته، وحسن نظمه، وتحداهم الله أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا، قال الآلوسي:"اعلم أن الشعر أكثر علم العرب"[2]، وقال ابن قتيبة :"وللعرب الشعر لا يشركها أحد من الأمم الأعاجم فيه، على الأوزان، والأعاريض والقوافي والتشبيب، ووصف الديار والآثار والجبال، والرمال والفلوات، وسرى الليل والنجوم، وإنما كانت أشعار العجم في مطلق من الكلام...والشعر معدن علم العرب، ومقر حكمتها وديوان أخبارها ومستودع أيامها، والسور المضروب على مآثرها والخندق المحجوز على مفاخرها، وشاهد العدل يوم النفار، والحجة القاطعة عند الخصام."[3]، ومن مذاهب العرب أنهم إذا نبغ في قبيلة شاعر أتت القبائل فهنأتها بذلك وصنعت الأطعمة واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن بالأعراس، وتباشروا به لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم لمآثرهم،[4] فهذا دليل على أهمية الشعر عند العرب وكذا أهمية الشاعر للقبيلة، فكان أهم شيء أبدعوا فيه إبداعا لم يجاريهم فيه أحد، ونفس الشيء كان لفن الخطابة فكان لكل قوم خطيبهم يخطب قومه أو ينوب عنهم عند الملوك أو القبائل الأخرى، وقد رويت خطب كثيرة محفوظة بسبب بلاغتها

---

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص56.

[2] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب_للآلوسي: ج3ص82.

[3] فضل العرب والتنبيه على علومها-لابن قتيبة:ص155.

[4] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ج3ص84.وينظر:المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام-جواد علي،ط2،جامعة بغداد،1413هـ/1993م: ج9ص60.وينظر فضل العرب والتنبيه على علومها-لابن قتيبة:ص180.

وفصاحتها[1]، قال الشاطبي:"ومنها التفنن في علم فنون البلاغة، والخوض في وجوه الفصاحة، والتصرف في أساليب الكلام، وهو أعظم منتحلاتهم، فجاءهم بما أعجزهم من القرآن الكريم، قال تعالى:﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ سورة الإسراء، الآية:88 ومنها ضرب الأمثال وقد قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾ سورة الروم الآية:58، إلا ضربا واحدا وهو الشعر فإن الله نفاه وبرأ الشريعة منه ...فظهر أن الشعر ليس مبني على أصل، ولكنه هيمان على غير تحصيل، وقول لا يصدقه فعل، وهذا مضاد لما جاءت به الشريعة إلا ما استثنى الله تعالى."[2].

خلاصة الكلام أن العرب كانت لهم علوم يشتغلون عليها، وأبرزها هو اشتغالهم بالبيان وأساليب الكلام، فبرعوا فيه أكثر من غيره من العلوم، حتى تفردوا بذلك عن سائر الأمم.

8-علم الأنساب:

هو علم يتعرف به أنساب الناس، والعرب في الجاهلية كان لهم مزيد اعتناء بضبطه ومعرفته فهو أحد أسباب الألفة والتناصر، وهم كانوا أحوج شيء إلى ذلك حيث كانوا قبائل متفرقين، وأحزابا مختلفين، و لم تزل نيران الحروب مستعرة بينهم والغارات ثائرة فيهم، فإنهم امتنعوا عن سلطان يقهرهم، ويكف الأذى عنهم، فحفظوا أنسابهم ليكونوا متظافرين

[1] ينظر البيان والتبيين-لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ-ت:علي بوملحم،دط،دار ومكتبة الهلال،بيروت لبنان،2002م: ج1ص215.

[2] الموافقات-الشاطبي: ج2ص58.

به على خصومهم، لأن تعاطف الأرحام وحمية الأقارب يبعثان على التناصر، ويمنعان من التخاذل، أنفة من استيلاء الأباعد على الأقارب، وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه إلى قبيلة يكون منها[1]، وقد حض الشرع على صلة الرحم ونصرة الأخ، وتقديم ذوي القربى في الصدقة وغيرها من أعمال البر، والشريعة أكدت ما كانوا عليه وندبت بنصوصها إليه، خلافا لمن زعم أن علم النسب علم لا ينفع ولا يضر، قال ابن حزم رادا على ذلك في مقدمة كتابه جمهرة أنساب العرب:"إن علم النسب علم جليل رفيع، به يكون التعارف، وقد جعل الله تعالى جزءا منه تعلمه لا يسع أحد جهله، وجعل تعالى جزءا يسيرا منه فضلا تعلمه، ومن الفرض علمه أن محمدا صلى الله عليه وسلم هو محمد بن عبد الله القرشي الهاشمي، ومن الفرض في علم النسب أن يعلم المرء أن الخلافة لا تجوز إلا في ولد فهر ابن مالك بن النضر بن كنانة، وأن يعرف الإنسان أباه وأمه، وكل من يلقاه بنسب في رحم محرمة ليجتنب ما يحرم من النكاح فيهم، وأن يعرف كل من يتصل به برحم توجب ميراثا، أو تلزمه صلة أو نفقة، أو معاقدة أو حكما ما، فمن جهل هذا فقد أضاع فرضا واجبا عليه، لازما له من دينه...فوضح بما ذكرنا بطلان قول من قال إن علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر."[2]، وقال صاحب كتاب نهاية الإرب في معرفة قبائل العرب:"لا خفاء أن المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة، والمعارف المندوبة لما يترتب عليها من الأحكام الشرعية، والمعالم الدينية، فقد وردت الشريعة المطهرة في اعتبارها في مواضع: منها العلم بنسب النبي، ومنها التعارف بين الناس حتى لا يعتزى أحد إلى غير آبائه،

[1] بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب-للآلوسي: ج3ص183.

[2] جمهرة أنساب العرب-أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم-ت:عبد السلام محمد هارون،ط5،دار المعارف القاهرة:ص2.

ومنها اعتبار النسب في الإمامة..."[1] وقد استوفى العلماء الرد على هذه الدعوى وبين أن علم النسب تحث عليه الشريعة المطهرة بما لا يدعوا إلى الشك.

ب–صفات العرب:لقد تميزت العرب بصفات تفردت بها، وكانت متأصلة فيها نذكر منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر.

1–العرب أحفظ الناس: فلأن الغالب منهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، بل إن جميع عرب البوادي كذلك ومع هذا حفظوا على سبيل التفصيل أيامهم وحروبهم ووقائعهم وما قيل فيها من شعر وخطب وما جرى من المفاخرات والمنافرات بين قبائلهم ،وضبطوا أنسابهم وأسماء فرسانهم وأنهم من أي قبيلة وإلى أي أب ينتهون، وللعرب من قوة الحافظة وحدة الفكر مالا يسع أحد إنكاره، فجاء القرآن يخاطب العرب بما عهدوا من حفظ أخبار الأولين وأيامهم، فنزل القرآن بالسورة الطويلة جملة واحدة كسورة المائدة، ولم يؤمروا بالكتابة لسعة حفظهم فلم يستثقلوا كثرة النصوص الشرعية.[2]

2–العرب أقرب للسخاء من غيرهم: فذاك الذي لا يحتاج إلى بيان، فقد اعترف بذلك الأقربون والأبعدون إذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم، وهذا شعرهم ينطق بما جبلوا عليه ويعرب عما ألفوه وجنحوا إليه[3]،وقال الشاطبي:"وأما يرجع إلى الاتصاف بمكارم الأخلاق وما ينضاف إليها فهو أول ما خوطبوا به، وأكثر ما تجد ذلك في السور المكية، من حيث كان آنس لهم، وأجرى على ما يمتدح به

---

[1] نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب–أبي العباس القلقشندي–ت:إبراهيم الأبياري،ط2،دار الكتاب اللبناني،بيروت،1400هـ/1980م:ص8. وينظر:مبلغ الإرب في فخر العرب–ابن حجر الهيتمي–ت:يُسري عبد الغني عبد الله،ط1،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1410هـ/1990م:ص31. وينظر: تاريخ العرب القديم–الشيخ أحمد مغنية–ط1،دار الصفوة بيروت لبنان،1414هـ/1994م:ص6.

[2] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب:ج1ص46.

[3] المصدر نفسه:ج1ص69.

عندهم كقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَٰنِ وَإِيتَآءِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ (النحل:90) ،وقوله تعالى:﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ اَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِالْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ ﴾ (الأنعام:151) ،إلى انقضاء تلك الخصال ،وقوله :﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَالطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ ﴾ (الأعراف:32) ،وقوله:﴿ قُلِ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالِاثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللَّهِ مَالَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(الأعراف:33) ...وأبطل لهم ما كانوا يعدونه كرما وأخلاقا حسنة وليس كذلك،أو فيه من المفاسد ما يربى على المصالح التي توهموها."[1]، فالكرم وما يدخل تحته من الصفات الحميدة التي دعى إليها القرآن هو الذي كان معهودا عندهم على الجملة.

3-الوفاء بالعهود: الوفاء أخ الصدق والعدل، والغدر أخو الكذب والجور، وقد جعل الله العهد من الإيمان وصيره قواما لأمور الناس، ولذلك عظم الله أمره فقال تعالى:﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ ٱلاَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا ﴾(النحل:91) ،وقال تعالى:﴿ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْۖ إِذَا عَٰهَدُواْ ﴾(البقرة:177) وقال تعالى:﴿ وَالذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ ﴾ (المؤمنون:8)

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص58.

،فكان خطاب القرآن على ما عهدته العرب من الوفاء بالعهود وذم وتقبيح الكذب والغدر، ومن المعلوم حال العرب من الصدق والاعتناء به وشدة الوفاء بالعهود، حتى تواتر ذلك عنهم في أخبارهم وأشعارهم والقصص المروية عنهم حتى إن من أفرادهم من صار يضرب به المثل في الوفاء بالعهد كعوف بن محلم والحارث بن ظالم المري وغيرهم كثير[1].

4-الغيرة: العرب أغير من غيرهم من سائر الأمم، وجعل الله هذه القوة في الإنسان سببا لحفظ الأنساب، وقد وصل العرب في الغيرة لأن جاوزوا الحد، حتى كانوا يئدون البنات مخافة لحوق العار بهم، ومن نخوة العرب وغيرتهم أنهم يكنون عن حرائر النساء بالبيض، وقد جاء القرآن الكريم بذلك فقال تعالى:﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الصافات:49)[2].

هذه بعض الأمثلة[3] تبين لنا أن القرآن نزل موافقا لما عهدوا من الصفات والأخلاق التي تعارفوا عليها، فكان من شأن الشرع أن رسخ بعضها وهذب بعضها وأبطل بعضها الآخر، فعلى الطالب لمراد الله تعالى في الكتاب والسنة أن يكون ملما بأخبار العرب ومعرفة أيامها وعاداتها وأعرافها في السفر والحضر والسلم والحرب وفيما بينها عموما وخصوصا، حتى يكون الباحث و المفسر وكأنه أحد العرب القدامى الذين نزل عليهم القرآن أو نزل في زمانهم، وهذا التكوين علمه وعمل به كثير من سلف هذه الأمة من علماء وفقهاء، فقد ذكر الشافعي أنه لما أراد طلب العلم الشرعي بدأ بتعلم اللسان العربي بأن نزل في قبيلة هذيل

---

[1] بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: ج1ص122.

[2] المصدر نفسه: ج1ص140.

[3] عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم-عبد الفتاح بن محمد أحمد خضر-مجلة البحوث والدراسات القرآنية،العدد السادس السنة الثالثة:ص34ص75. وينظر: عادات عربية في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية-عبد الفتاح بن محمد أحمد خضر-مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية،العدد الثالث،جمادى الآخرة 1428هـ:ص77ص128.

وكانت لازالت على عهد العرب الأوائل، وعاش معهم سنين طويلة ليتعلم منهم الفصاحة وكذا عاداتهم العربية وأخلاقهم وأشعارهم، يقول أبو زهرة:"وقد خرج في سبيل هذا إلى البادية ولزم هذيلا وهو يقول في هذا المقام: إني خرجت عن مكة فلازمت هذيلا بالبادية أتعلم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح العرب، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار. ولقد بلغ من حفظه لأشعار الهذليين وأخبارهم أن الأصمعي قال: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد ابن إدريس."[1]، هذا كله لأن القرآن نزل على وفق ما عهدوا وعرفوا لا على وفق ما جهلوا.

المبحث الثاني: ضوابط مراعاة معهود العرب.

المطلب الأول: مراعاة العرف اللغوي.

إذا كان للعرب عادات وأعراف ظاهرة في مجتمعاتهم على الناظر في كتاب الله عز وجل مراعاتها لأنها تؤثر في فهم الخطاب القرآني، فكذلك هناك أعراف لغوية، تعارفت عليها العرب هي خارجة عن القوانين الأصلية في لسانها، لا يعلم هذه الاستثناءات إلا من كان ريانا باللسان العربي، قال الشاطبي:"لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم، فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه."[2]، لذا يجب معرفة عادات العرب وكل ما يحمله اللسان العربي من أسرار البيان والبلاغة ودقائق المعاني فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها، وأن فطرته أن يخاطب بالشئ منه عاما ظاهرا يراد

[1] الشافعي-أبو زهرة-دط،دار الفكر الإسلامي،:ص18.

[2] الموافقات-الشاطبي: ج2ص62.

به العام الظاهر، ويستغنى بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد به العام ويدخله الخاص، فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره، فكل هذا موجود علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره .وتبتدئ الشيء من كلامها يبين أول لفظها فيه عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله، وتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون الإيضاح باللفظ، كما تعرف الإشارة، ثم يكون هذا عندها من أعلى كلامها، لانفراد أهل علمها به، دون أهل جهالتها، وتسمي الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة، وتسمي بالاسم الواحد المعاني الكثيرة[1]، فمن أراد أن يلم بلسان العرب عليه أن يكون على دراية كبيرة من أعرافها اليومية وكذا أعرافها اللغوية المستمرة حتى يصيب مراد الله تعالى.

إن اللسان العربي من أعظم الألسن بيانا وسعة للمعاني، ولقد تفننت العرب في ذلك واشتهرت به دون سائر الأمم، وظهر ذلك جليا في شعرهم وخطبهم، وجاء القرآن معجزا لهم في قوة البيان في المعاني والألفاظ والأسلوب، فأقروا بقوته وعجزوا عن مجاراته وهم أهل البلاغة والبيان بعد تحدي القرآن لهم، فنزل القرآن على ما عهدوا من البيان والبلاغة وسعة اللسان على أعلى مرتبة، فأقروا بذلك ولم ينكروه لأنه من جنس لسانهم مع اقرارهم بعجزهم أن يأتوا بمثله، ويبين الشاطبي سعة لسان العرب وأن لها أعرافا في لسانها يجب مراعاتها بقوله:"وهذا جار في المعاني، والألفاظ، والأساليب، مثال ذلك أن معهود العرب أن لا ترى الألفاظ تعبدا عند محافظتها على المعاني، وإن كانت تراعيها فليس أحد الأمرين عندها بملتزم، بل قد تبني على أحدهما مرة، وعلى الآخر أخرى، ولا يكون ذلك قادحا في صحة كلامها واستقامته."[2]، ومن أمثلة ذلك في اللسان العربي :

---

[1] الرسالة-الشافعي:ص52.

[2] الموافقات-الشاطبي: ج2ص62.

أولا–خروجها في كثير من كلامها عن أحكام القوانين المطردة، والضوابط المستمرة وجريانها في كثير من منثورها على طريق منظومها، وإن لم يكن بها حاجة، وتركها لما هو أولى في مراميها، ولا يعد ذلك قليلا في كلامها ولا ضعيفا، بل هو كثير قوي، وإن كان غيره أكثر منه.

ثانيا–أن من شأنها الاستغناء ببعض الألفاظ عما يرادفها أو يقاربها ولا يعد ذلك اختلافا ولا اضطرابا، إذا كان المعنى المقصود على استقامة، والكافي في ذلك نزول القرآن على سبعة أحرف كلها شاف كاف، وإن كان بين القراءتين ما يعده الناظر ببادئ الرأي اختلافا في المعنى، لأن معنى الكلام من أوله إلى آخره على استقامة، لا تفاوت فيه بحسب مقصود الخطاب، كقوله تعالى:﴿ وَمَا يَخْدِعُونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ ﴾(البقرة:9) وقوله:"وما يخدعون إلا أنفسهم"، وهذا كان عادت العرب.

ثالثا–أنها قد تعمل بعض أحكام اللفظ وإن كانت تعتبره على الجملة، كما استقبحوا العطف على الضمير المرفوع المتصل مطلقا، ولم يفرقوا بين ما له لفظ وما ليس له لفظ، فقبح (قمت وزيد) كما قبح (قام وزيد) وأشباه ذلك من الأحكام التي تقتضيها الألفاظ في قياسها النظري، لكنها تهملها.

رابعا–أن الممدوح في كلام العرب عند أرباب العربية ما كان بعيدا عن تكلف الاصطناع، لذلك إذا اشتغل الشاعر العربي بالتنقيح اختلف في الأخذ عنه، وإذا كان كذلك فلا يستقيم للمتكلم في كتاب الله أو سنة رسول الله أن يتكلف فيهما فوق ما يسعه لسان العرب، وليكن شأنه الاعتناء بما شأنه أن تعتني العرب به، والوقوف عند ما حدته.[1]

[1] الموافقات–الشاطبي: ج2ص64.

المطلب الثاني:مراعاة السياق.

إن سبب إدراج هذا المطلب في البحث هو صلته الوثيقة به، فتطرقنا للسياق وبيان أقسامه وأنواعه يعيننا على فهم مدى ضرورة مراعاة معهود العرب في فهم النص الشرعي، فهو قسيم لأحد أنواع السياق الذي هو السياق المنفصل عن النص، المتمثل في الملابسات والأعراف والبيئة والمحيط بمن يتلقى الخطاب الشرعي، لذا كان لزاما علينا توضيح ذلك وبيان فائدته.

أ–مفهوم السياق:

أصل لفظة سياق هي سواق، فقلبت الواو ياء لكسر السين، وهما مصدران لساق يسوق[1]، قاله ابن الأثير، رحمه الله تعالى.

السياق لغة:

جاء في لسان العرب تحت مادة "سوق": "ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقا وسياقا، وقال :وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوقا إذا تتابعت"[2].

قال ابن فارس:"السين والواو والقاف، أصل واحد وهو حدو الشيء،يقال:ساقه يسوقه سوقا"[3].

---

[1] النهاية في غريب الحديث والأثر–مجد الدين أبي السعدات المبارم بن محمد الجزري ابن الأثير،ت:رائد بن صبريين أبي علفة،ط3،بيت الأفكار الدولية الأردن،2003م:ص451.

[2] لسان العرب – ابن منظور: ج7ص304..

[3] معجم مقاييس اللغة –أبي الحسين أحمد ابن فارس ابن زكرياء،ت:عبد السلام محمد هارون،دط،دار الفكر،1499هـ/1979م: ج3ص117.

وجاء في الصحاح للجوهري:"ويقال:ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد، أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية"[1].

تبين من العرض المعجمي السابق أن معنى السياق اللغوي المراد في هذه الدراسة، هو تتابع الشيء على نسق واحد من الأمور المادية أو معاني الكلام، وإلا فالسياق له معاني لغوية أخرى منها:

المهر:تقول العرب ساق فلان لامرأته أي أعطاها مهرها، وساق إليها الصداق والمهر سياقا وأساقه، وإن كان دراهم ودنانير، لأن أصل الصداق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدرهم والدينار وباقي العملات اليوم في عصرنا.[2]

وقد يكون ملاحظة أن أصل السياق عند العرب في الأشياء الحسية كسوق الإبل، وسوق الألفاظ، هو الدافع لجماعة لأهل الأصول في قصر معنى السياق سياق المقال دون سياق الحال والمقام.

مؤخرة الشيء:يقال ساقة الجيش.[3]

ولعل ملاحظة هذا المعنى اللغوي، حملت بعض الأصوليين على اعتبار السياق ما يكون في آخر الكلام من القرائن المقالية والحالية، ويقابله السباق وهو ما يكون في أول الكلام من القرائن.

---

[1] تاج اللغة وصحاح العربية-أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،ت:محمد محمد تامر،دط،مطبعة دار الحديث القاهرة،1430هـ/2002م:ص573.

[2] لسان العرب-ابن منظور: ج7ص304.

[3] المصدر نفسه: ج7ص304،ينظر الصحاح-الجوهري:ص573.

الترع في الموت:يقال ساق بنفسه سياقا:نزع ها عند الموت...ويقال فلان في السياق أي في الترع، ويطلق السياق على الموت.[1]

ما يستتر به الصائد:وتعرف بالسيقة بتشديد السين وهي الناقة التي يستتر بها الصائد عن الصيد فيرميه...والمسوق:بعير يتستر به من الصيد لتختله [2].

مما نقلناه من المعاجم وكتب اللغة يظهر أن هذه المادة تدور على معنى التتابع، والإتصال، وأن استعمال العرب لهذه المادة ومشتقاتها يدور على ذلك، والله أعلم.

السياق إصطلاحا:

لقد اختلف الباحثون في تعريف السياق اصطلاحا، رغم أنه منصوص عليه منذ القدم، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله في القرن الثاني يبوب في رسالته بابا يسمه بـــ"الصنف الذي يبين سياقه معناه"[3] ثم يسوق الأمثلة لهذا الباب في بيان دلالة السياق على المعنى، ومن الأمثلة التي ذكرها الشافعي ما له علاقة بالمجاز في القرآن الكريم، فمن ظاهر كلامه يتضح أن الشافعي لا يترل الآيات مترلة المجاز في اللغة بل يردها إلى قرينة السياق وينسب ذلك إلى أهل العلم باللسان.

وسبب إختلاف العلماء في تعريف السياق أن المتقدمين لم ينصوا على تعريفه اصطلاحا، وإنما نصوا على أهميته وبعض آثاره كالترجيح وغيره، والله أعلم.

نبدأ أولا بتعريف السياق في علم اللسانيات مطلقا، منه يتضح مدى تأثيره في الخطاب والنص من حيث المعنى والدلالة.

---

[1] لسان العرب-ابن منظور: ج7ص304،ينظر:الصحاح-الجوهري:ص573.

[2] المصدر نفسه: ج7ص305.

[3] الرسالة-الشافعي:ص62.

يقول محمد إقبال عروي:"يستعمل مصطلح "السياق" في سياقات متعددة، بعضها لغوي وآخر اجتماعي واقتصادي وسياسي، غير أن المعاجم تقدم له تعريفا يكاد ينطبق، من حيث المقوم الجوهري على تلك السياقات جميعا، فالسياق في مجال تحليل خطابي، هو سلسلة الأفكار التي تجسد نصا ما، وبالتحديد فإن السياق هو مجموع النص الذي يحيط بالجملة التي يراد فهمها، وعليها يتوقف الفهم السليم لها، أو هو المحيط اللساني الذي أنتجت فيه العبارة، ولا يشترط في تلك العناصر الحافة بالعبارة أن تكون قريبة، بل يمكنها أن تكون قريبة، بل يمكنها أن تكون بعيدة عن متن الخطاب"[1].

ويقول أيضا الباحث في اللسانيات جون لايتز:"وتعتبر النصوص مكونات للسياقات التي تظهر فيها، أما السياقات فيتم تكوينها وتحويلها وتعديلها بشكل دائم بواسطة النصوص التي يستخدمها المتحدثون والكتاب في مواقف معينة"[2].

ومن العلماء المتخصصين في علم الدلالة من يجعل للسياق تقسيمات أخرى ولكنها لا تخرج في المعنى عما سبق وهي أربعة أنواع:

1) السياق اللغوي.
2) السياق العاطفي.
3) السياق الموقف.
4) السياق الثقافي[3].

بالرغم من أن هذا التعريف صادر من علماء اللسانيات عموما إلا أنه يبرز المعنى المراد في هذا البحث، وهو تأثير السياق في المعنى أو في النص سواء كان هذا السياق من

[1] دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية-محمد إقبال عروي،ط1،الكويت،1428هـ/2007م:ص25.
[2] اللغة والمعنى والسياق-جون ليتز-ترجمة:عباس صادق الوهاب،مراجعة يونيل عزيز،ط1،بغداد،1987م:ص225.
[3] علم الدلالة-أحمد مختار عمر،ط5،القاهرة،1998م:ص69.

أصل النص أو من خارجه كقرائن العادات أوالظروف التي صدر عنها الخطاب، ولكن هذا لا يكفي لتأكيد هذا المعنى والإطمئنان من صحته وسريانه في النصوص الشرعية لذا وجب البحث عن تعريف للسياق عند علماء الشريعة، ومن لغويين يستندون في تمثيلهم للكتاب والسنة، وكذا علماء الأصول، والتفسير.

أ-تعريف السياق إصطلاحا عند اللغويين وعلماء البيان:

فأهل اللغة البيانيين عرفوه بما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسرا للكلام، وقد تكون العلاقة بين هذا الكلام وبين شيء آخر[1].

وهذا يدل على أن السياق بحسب هذا التعريف منقسم إلى قسمين سياق مؤثر في معنى النص مراعاة لما قبله وما بعده من الكلام فيكون هذا النوع من السياق متصلا بالنص، وآخر منفصل عن النص فيكون مؤثر خارجي، كالعادات والأمور الإجتماعية والثقافية الملازمة للنص أو الخطاب.

وعرف أيضا السياق في المعجم الأدبي:"من الكلام أسلوبه الذي يجري عليه."[2]

وهذا التعريف يوحي أيضا بالمعنى العام للسياق المذكور آنفا.

سنحاول بيان أنواع السياق بشيء من التفصيل والشرح.

---

[1] المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث-محمد أحمد أبو الفرج،دط،دار النهضة العربية،1966م:ص116.

[2] المعجم الأدبي-جبور عبد النور،ط2،دار العلم بيروت لبنان،1984م:ص143.

النوع الأول: السياق اللغوي المتصل بالنص.

وهو سابق الكلام ولاحقه، فالكلام حين يراعى سياقه يتوصل إلى تعيين المقصود وتحديد المراد،[1] فهو مقصور على نسج الكلام وتركيبه، أو بعبارة أخرى هو مراعاة النسق التركيبي للجملة أو النص.

النوع الثاني:السياق المنفصل عن النص.

ويمكن تسميته بالسياق الإجتماعي، أو المقام أو سياق الحال:وهو مجموع العناصر الإجتماعية، والثقافية، المتصلة بالنص الكلامي، والتي تؤثر في فهمه،وذلك يكون في أمرين:

الأول:ذكر مناسبة النص كسبب للكلام.

الثاني:ذكر عادات وتقاليد تضمنها النص، واعتبارها في توجيه الدلالة.[2]

وهذا النوع من السياق هو المراد من الدراسة، فهو مشابه لمعهود العرب وتأثيره في معنى الخطاب الشرعي، إن لم نقل أنهما متطابقان في المعنى والوظيفة، إذا تبين ذلك علمنا أن استناد المفسرين للسياق في تفسير القرآن الكريم هو جزء لا يتجزء من مراعاتهم لمعهود العرب والعادات والثقافة العربية الأولى في بيان كلام الله عز وجل، فيكون هناك تلاقي أو تقاطع في المعنى والمقصد بين السياق ومعهود العرب.

---

[1] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير–عبد الحكيم بن عبدالله القاسم–رسالة ماجستير،كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود،1421هـ:ص88.

[2] المصدر نفسه:ص89.

ب- تعريف السياق عند الأصوليين:

عند الإستقراء والتتبع للدراسات الحديثة لجزئية السياق، لم أجد تعريفا صريحا للأصوليين للسياق على حد اطلعي أما لفظ السياق فنجد الأصوليين يستعملونه كثيرا، فيقولون مثلا (سياق الكلام)، و(سياق النظم)، و(النكرة في سياق الشرط)، إلى غير ذلك من استعمالات الأصوليين لكلمة السياق، وكلها تعني نظم الكلام، وإذا بحثنا عن تعريف النظم عند علماء البيان لعلنا نهتدي إلى تقريب المعنى والمراد منه، فقد تعرض أهل البيان لتعريف النظم في اصطلاحهم، وهو قريب من معنى السياق، الذي قصده الأصوليون.

يقول الجرجاني:"النظم هو تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل الألفاظ المرتبة المسوقة المعتبرة دلالاتها على ما يقتضيه العقل"[1].

وقيل:"تأليف الكلمات والجمل مترتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب ما يقتضيه العقل، وقيل:الألفاظ المترتبة المسوقة المعتبرة دلالتها على ما يقتضيه العقل."[2]

إن معاني "النظم" عند الأصوليين هي قريبة في المعنى مع السياق، غير أن هذين التعريفين لعلماء البيان للنظم لا يفيان بمراد السياق الواسع عند الأصوليين.

بعد البحث الحثيث لتعريف السياق عند الأصوليين لم أقف على تعريف صريح للسياق في كتب الأصول إلا بعض التنبيهات عليه، وإدراجه في مباحث الدلالة والنظم كما أشرنا له سابقا، وأصرح كلام عن السياق عند الأصوليين هو كلام الإمام الشافعي في

---

[1] معجم التعريفات-الشريف الجرجاني:ص203.

[2] المصدر نفسه:ص203.

الرسالة وهو قوله:"باب الصنف الذي يبين سياقه معناه، قال الله تبارك وتعالى:﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾سورة الأعراف163 فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمسألتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ دل على أنه إنما أراد أهل القرية، لأن القرية لا تكون عادية ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وأنه إنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانو يفسقون.

وقال:﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأْسَنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ ﴾سورة الأنبياء 11 ،12 وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها، فذكر قصم القرية، فلما ذكر أنها ظالمة بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها، دون منازلهم التي لا تظلم، ولما ذكر القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم، أحاط العلم أنه إنما أحس البأس من يعرف البأس من الآدميين."[1]

[1] الرسالة–الشافعي:ص63.

ب- تعريف السياق عند المفسرين:

بعد مراجعة بعض البحوث المعاصرة، وجدنا محاولات لبعض الباحثين في تعريفهم للسياق أو لدلالة السياق اصطلاحا، نذكر بعضها بإيجاز:

التعريف الأول:

السياق هو تتابع الكلام وتساوقه وتقاوده، ودلالة السياق هي فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده، وأما دلالة السياق في التفسير فهي بيان اللفظ أو الجملة في الآية، بما لا يخرجها عن السابق واللاحق، إلا بدليل صحيح يجب التسليم له[1].

التعريف الثاني:

السياق هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال[2].

التعريف الثالث:

السياق هو الكلام المتتابع إثره على إثر بعض، المقصود للمتكلم، والذي يلزم من فهمه فهم شيء آخر[3].

---

[1] دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير-عبد الحكيم بن عبد االله القاسم:ص93.

[2] السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي-المثنى عبد الفتاح محمود محمود، رسالة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن،إشراف فضل حسن عباس،جامعة اليرموك إربد الأردن، 3ربيع الثاني 1426هـ/2005: ص14.

[3] الأدلة الإستئناسية عند الأصوليين-أشرف بن محمود بن عقلة الكناني،ط1،دار النفائس الأردن،1425هـ/2005م:ص220.

مما يأخذ على هذه التعاريف هو اقتصارها على السياق النصي، وإهمالها للسياق الإجتماعي والثقافي المؤثر في فهم النص، وذلك ما أشرنا إليه سابقا بالسياق المنفصل عن النص أو الخطاب وهو السياق الخارجي، فهذا التعريف أهمل هذا الجانب من أنواع السياق، فكان تعريفا غير جامع من حيث أفراد السياق.

التعريف الرابع:

الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع[1].

التعريف الخامس:

الغرض الذي ينتظم به جميع ما يرتبط بالنص من القرائن اللفظية والحالية[2].

التعريف الرابع والخامس جمعا كلا النوعين من السياق المتصل والمنفصل أي اللغوي والقرائن والأحوال المحيطة به، فالذي يظهر أن التعريفين الأخيرين كانا أجمع لكل أفراد معاني السياق، والله أعلم.

---

[1] دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية-فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي،رسالة ماجستير تخصص تفسير وعلوم القرآن،إشراف محمد بن عمر بازمول،جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم كتاب وسنة المملكة العربية السعودية،1426هـ/2005م: ص29.

[2] السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير-عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري،رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف خالد بن عبد الله القرشي،جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة،1429هـ/2008:ص66.

وأجمع تعريف وقفنا عليه لدلالة السياق من الباحثين المعاصرين وهو المختار والراجح : "أنها القرائن الدالة على المقصود في الخطاب الشرعي"[1].

وهذا الحد يظهر أنه جامع مانع ويمكن توضيح ذلك بشرح حدوده:

القرائن:قيد دال على أنواع السياق وهي القرائن المقالية، المتمثلة في سياق المقال، والقرائن الحالية، المتمثلة بسياق الحال، سواء كانت هذه القرائن سابقة أم لاحقة.

الخطاب:قيد لإخراج القرائن الحاصلة بغير خطاب.

الشرعي: قيد لإ خراج غير الشرعي في المخاطبات[2].

يجدر بنا التنبيه إلى الفرق الحاصل بين الأصوليين والمفسرين في نظرتهم للسياق، فنجد أن الأصوليين يعالجون مبحث السياق في مباحث الدلالات فيقولون دلالة السياق، في حين المفسرون يدرسونه من ناحية تأثير سياق الكلام وحيثياته على معنى نصوص القرآن، فالمعنى متقارب إلى حد كبير بين الأصوليين والمفسرين.

أمثلة في اعتماد المفسرين للسياق في تفسيراتهم:

الأمثلة التي سنذكرها تقتصر على مراعاة السياق المنفصل عن النص مثل السياق الإجتماعي والثقافي وملابسات الخطاب المؤثرة في المعنى.

---

[1] دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية-سعد بن مقبل بن عيسى العنزي،رسالة ماجستير تخصص فقه وأصول،إشراف حمزة بن حسين الفعر،جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا الشرعية شعبة الأصول المملكة العربية السعودية،1427هـ: ص63.

[2] المصدر نفسه:ص63.

أولا:قال تعالى:﴿ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذتُّمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ سورة البقرة الآية:51 ،لماذا ذكر الليالي دون الأيام؟

أجاب ابن الجوزي[1]:"وإنما ذكرت الليالي دون الأيام، لأن عادة العرب التأريخ بالليالي، لأن أول الشهر ليله، واعتماد العرب على الأهلة، فصارت الأيام تبعا لليالي"[2].

السياق المعتمد في تفسير هذه الآية هو السياق المنفصل عن النص وهو ما علمناه من عادات وثقافة العرب أنهم كانوا أميين لا يكتبون ولا يقرؤون إلا النادر جدا فاعتمدوا في حساباتهم وتأقيتهم على ما يمكن ملاحظته بالبصر ألى وهو القمر فكان تأريخهم قمريا لما ذكرناه.

ثانيا: قال تعالى:﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِۖ فَمَنُ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ ﴾ سورة البقرة الآية:173.

---

[1] هو الشيخ الفاضل المسند بدر الدين أبو القاسم علي بن الشيخ الإمام أبي الفرج عبد الرحمان، بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي البكري البغدادي الناسخ، ولد سنة إحدى وخمسين وخمس مائة، وهو صحيح السماع ثقة كثير المحفوظ، حسن الإيدار، مات سنة ثلاثين وست مائة.ينظر: سير أعلام النبلاء-للذهبي:ج22ص353.

[2] زاد المسير في علم التفسير-ابن الجوزي:ص61.

قال ابن العربي[1]:"اتفقت الأمة على أن لحم الخنزير حرام بجميع أجزائه، والفائدة في ذكر اللحم أنه حيوان يذبح للقصد إلى لحمه، وقد شغفت المبتدعة، بأن تقول فما بال شحمه، بأي شيء حرم؟ وهم أعاجم لايعلمون أنه من قال لحما فقد قال شحما، ومن قال شحما فلم يقل لحما."[2]

ولعل هؤلاء المبتدعة هم من ذكرهم ابن حزم حيث قال:"وأما أبو غفار أحد شيوخ المعتزلة، فكان يزعم أن شحم الخنزير ودماغه حلال".[3]

[1] هو الإمام العلامة الحافظ القاضي، أبو بكر محمد بن عبد الله، بن محمد بن عبد الله بن العربي الأندلسي، صاحب التصانيف، ولد في سنة ثمان وستين وأربع مائة، ارتحل مع أبيه وسمعا ببغداد، وتفقه بالإمام أبي حامد الغزالي، والفقيه أبي بكر الشاشي، والعلامة الأديب أبي زكريا التبريزي، رجع إلى الأندلس بعد أن دفن أباه في رحلته، توفي بفاس سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة. ينظر:سير أعلام النبلاء-الذهبي: ج20 ص197.

[2] أحكام القرآن-لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي،ت:محمد عبد القادر عطا،ط3،دار الكتب العلمية بيروت،1424هـ/2003م: ج1 ص80.

[3] الفصل في الملل والأهواء والنحل-أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم،ت:أحمد شمس الدين،ط 2،دار االكتب العلمية بيروت،1420هـ/1999م: ج3 ص134.

الفصل الثاني

الجانب النظري والتطبيقي في الاستعانة لمعهود العرب عند المعاصرين بن عاشور

الفصل الثاني : الجانب النظري والتطبيقي في الاستعانة بمعهود العرب عند الطـــــاهر بن عاشور

المبحث الأول :الجانب النظري في الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الأول: مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الثاني: ضوابط الأخذ بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور وأثره في التفسير.

المبحث الثاني : الجانب التطبيقي للاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الأول: نماذج تطبيقية في تفسير القرآن المكي .

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في تفسير القرآن المدني.

المبحث الأول:الجانب النظري في الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

المطلب الأول: مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور:

سنحاول استقراء كتابات الطاهر بن عاشور، والكشف عن مدى اعماله لمعهود العرب في تفسير النصوص الشرعية، والإفصاح عن معانيها، خاصة في تفسيره التحرير والتنوير، فسنستنطق مقدمات تفسيره ليتبين مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور، بعد البحث والاستقراء تبين أن مفهوم معهود العرب عند الإمام يتجلى في النقاط التالية:

أولا:عربية القرآن:

إن من نافلة القول أن نقرر عربية القرآن، فقد قرر ذلك القرآن نفسه في عدة آيات كقوله تعالى:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢ ﴾ سورة يوسف الآية:2، وغيره من الآيات المؤكدة لذلك، كما أن علماء الأصول أفاضوا في ذلك وردوا كل شبهة مخالف بالأدلة الواضحة البيّنة، فالقرآن نزل مخاطبا العرب بلسانها حتى تَفهم عنه مرادَه وبلاغه، قال الطاهر بن عاشور في المقدمة الثالثة من تفسيره:"وقد اختار الله تعالى أن يكون اللسان العربي مظهرا لوحيه، ومستودعا لمراده، وأن يكون العرب هم المتلقين أولا لشرعه وإبلاغ مراده لحكمة علمها: منها كون لسانهم أفصح الألسن وأسهلها انتشارا، وأكثرها تحملا للمعاني مع ايجاز لفظه، لتكون الأمة المتلقية للتشريع والناشرة له أمة قد سلمت من أفنّ الرأي عند المجادلة، ولم تقعد بها عن النهوض أغلال التكالب على الرفاهية."[1]

[1] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص39.

لقد بين الطاهر بن عاشور أن اللسان العربي هو المفتاح لفهم مراد الله تعالى في كتابه، وعلى ذلك سار علماء الأمة، فمعرفة اللسان العربي ضرورة لا مناص منها لفهم كتاب الله تعالى، وقد بين الطاهر بن عاشور أن العلم بلسان العرب والإبداع فيه يساعد المفسر على معرفة نكت وفوائد من الآيات أكثر من غيره، وجعله الطاهر بن عاشور من التفسير بالرأي المحمود بل والمطلوب، قال رحمه الله ضرورة التمكن من اللسان العربي وإتقانه ومبينا لضوابط التفسير بالرأي:"أن المراد بالرأي-المذموم-هو القول عن مجرد خاطر دون استناد إلى نظر في أدلة العربية ومقاصد الشريعة وتصاريفها...أو بما يبدو من ظاهر اللغة دون استعمال العرب كمن يقول في قوله تعالى:﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ سورة الإسراء الآية:59، فيفسر مبصرة بأنها ذات بصر لم تكن عمياء، فهذا من الرأي المذموم لفساده." [1]، وبين أيضا أن من القصور في الفهم والتفسير لكتاب الله تعالى هو الجمود على أحد المعاني وإقصاء المعاني الأخرى، وهذا جهل باللسان العربي، قال رحمه الله تعالى:"رابع الأخطاء:أن يفسر القرآن برأي مستند إلى ما يقتضيه اللفظ ثم يزعم أن ذلك هو المراد دون غيره لما في ذلك من التضييق على المتأولين."[2]،ومن جملة ما بينه الطاهر بن عاشور في مقدمات تفسيره أن أول مدد للتفسير أي أن أول العلوم المساعدة على التفسير هو العلم بلسان العرب، ومقاصد كلامها والغوص في علم البلاغة والبيان للوصول إلى أسرار العربية ومراميها، يقول الطاهر بن عاشور:"أما العربية فيراد منها معرفة مقاصد العرب من كلامهم وأدب لغتهم سواء حصلت تلك المعرفة، بالسجية والسليقة، كالمعرفة الحاصلة للعرب الذين نزل القرآن بين ظهرانيهم، أم حصلت بالتلقي والتعلم كالمعرفة الحاصلة للمولدين الذين

[1] المصدر السابق: ج1ص30.

[2] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص31.

شافهوا بقية العرب ومارسوهم، والمولدين الذين درسوا علوم اللسان ودونوها."[1]، ولإتقان اللسان العربي عند المولدين عليهم اتقان كل قواعد العربية، قال الطاهر بن عاشور:"إن القرآن كلام عربي فكانت قواعد العربية طريقا لفهم معانيه، وبدون ذلك يقع الغلط وسوء الفهم، لمن ليس بعربي بالسليقة، ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي، وهي:متن اللغة، والتصريف والنحو، والمعاني والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم، وتراكيب بلغائهم."[2]، ويضيف الطاهر بن عاشور إلى العلم باللسان العربي العلم بأخبار العرب وأيامها فهي مما يستعان بها على فهم العربية على أكمل وجه، قال رحمه الله:"وأما أخبار العرب، فهي من جملة أدبهم وإنما خصصتها بالذكر تنبيها لمن يتوهم أن الاشتغال بها من اللغو، فهي يستعان بها على فهم ما أوجزه القرآن في سوقها، فبمعرفة الأخبار يعرف ما أشارت له الآيات من دقائق المعاني، فنحو قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثاً ﴾، سورة النحل الآية:92، وقوله:﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ﴾ سورة البروج الآية:4، يتوقف على معرفة أخبارهم عند العرب."[3]

ثانيا: فهم السلف من صحابة وتابعين:

كما أن الطاهر بن عاشور يشير في كثير من المواطن في كتبه، أن أعلم الناس بالشريعة و الحاصلين على كل المقومات الداعية لذلك من علم باللسان العربي ومقاصد التشريع ومناسباته، هم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، ففي غير موطن يبين ضرورة

---

[1] المصدر نفسه:ج1ص18.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص18.

[3] المصدر نفسه:ج1ص25.

الإطلاع على فتاوى الصحابة وجعلها نبراسا ومنهجا للمعرفة الإسلامية، ويثني على من جمع للأمة علم الصحابة وعلى رأسهم وأولهم الإمام مالك رحمه الله، لما جمعه في موطئه من أقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، قال الطاهر بن عاشور في شرحه للموطأ:"وقد أثبت مالك في الموطأ ما صح من العلم، وحكم عن الخلفاء الراشدين، وأئمة الإسلام أهل الفقه، والتثبت من الصحابة والتابعين، لأنه قصد منه بيان علم الشريعة، وليس علم الشريعة بمنحصر في ما صح من الأقوال والأفعال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن أصحابه المهتدين بهديه، قد شاهدوا من تصرفاته ما كان رائدهم في قضاياهم وفتاويهم، إذ كانوا ممن لا يتسرع إلى القضاء والفتوى بغير هدى من الله ...فمن يتصدى إلى جعل كتاب في الدين يقتصر فيه على ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول وعمل، فقد أعرض عن معين غامر من مصادر الفقه، ولولا ما أثبته مالك في الموطأ من ذلك لضاع علم كثير من علم الصحابة والتابعين."[1]، وقال أيضا:"ويدخل في مادة الاستعمال العربي ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم."[2]، إن كلام الطاهر بن عاشور هذا مشابه لكلام الشاطبي في تنبيهه لمراعاة معهود العرب، وأن أقرب علماء الأمة المتقنين للسان العربي الأصيل وأبعدهم عن العجمة التي تلوث صفو اللسان هم الصحابة، فهم أقرب المسلمين لفهم القرآن لأنهم عرب أقحاح عالمين بتصاريف اللسان العربي وما عهدته العرب في أعرافها وعاداتها المؤثرة في معنى الخطاب كما أنهم معاصرون للتنزيل فكانوا هم الأولى بالوصول إلى الحق إذا اختلف الناس في الفهم، قال الشاطبي في هذا المعنى رادا على أهل البدع:"إن المتقدمون من السلف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم، و لم يفهموا من الأدلة إلا ما كانوا عليه، وهذه المحدثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها، فدل على أن تلك الأدلة لم تتضمن

[1] كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ-محمد الطاهر بن عاشور،ت:طه بن علي بوسريح،ط1،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،1427هـ/2006م:ص40.

[2] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج1ص23.

هذه المعاني المخترعة بحال، وصار عملهم بخلاف ذلك دليلا إجماعيا على أن هؤلاء في استدلالهم وعملهم مخطئون ومخالفون للسنة."[1]، وقال أيضا:"فلهذا كله يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل."[2]، وقد وقع لابن عباس تفسير لسبب اختلاف الأمة فعن ابراهيم التيمي قال:"خلا عمر رضي الله عنه ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة ، قال فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمنا فيما أنزل، وأنه سيكون بعدنا أقوام يقرؤون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لهم فيه رأي، فإن كان لهم فيه رأي اختلفوا، وقال سعيد:فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا، قال: فزجره عمر، وانتهره عليٌّ، فانصرف ابن عباس ونظر عمر فيما قال فعرفه فأرسل إليه وقال: أعد عليَّ ما قلته، فأعاد عليه فعرف عمر قوله وأعجبه."[3]، قال الشاطبي:"وما قاله ابن عباس هو الحق، فإنه إذا عرف الرجل فيما نزلت الآية أو السورة عرف مخرجها وتأويلها وما قصد بها، فلم يتعد ذلك فيها، وإذا جهل فيما أنزلت احتمل النظر فيها أوجها، فذهب كل إنسان مذهبا لا يذهب إليه الآخر وليس عندهم من الرسوخ في العلم ما يهديهم إلى الصواب أو يقف بهم دون اقتحام حمى المشكَلات، فلم يكن بد من الأخذ ببادي الرأي، أو التأويل بالتخرُّص الذي لا يغني من الحق شيئا إذ لا دليل عليه من الشريعة."[4]، يلتقي كلام الطاهر بن عاشور والشاطبي في أهمية مراعاة فهم السلف الأول من الأدلة الشرعية، وأنه مفتاح من مفاتيح فهم

---

[1] الموافقات-الشاطبي: ج3ص45.

[2] المصدر نفسه: ج3ص57.

[3] رواه عبد الرزاق في المصنف (20368)،والحاكم في المستدرك في كتاب الأهوال، وقال: صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه.

[4] الإعتصام-أبي إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي_ت:محمود بن الجميل،ط1،دار الإمام مالك للكتاب الجزائر،1431هـ/2010م:ص395.

النصوص، فعلى الناظر في الدليل الشرعي مراعاته وعدم إغفاله، فقد وصفه الطاهر بن عاشور:"بالمعين الغامر من مصادر الفقه"، وجعله الشاطبي أصلا من أصول التشريع يهرع إليه المجتهد، حتى يكون في مأمن من الانحراف في الفهم.

ثالثا: البلاغة والبيان في الخطاب:

معلوم أن العرب كان من أكبر علومها هو البيان والبلاغة في الكلام نثره وشعره وكان أعظم منتحلاتها، فخاطبها الله بالقرآن الذي كان إعجازه في بلاغته وقوة بيانه، فكان ما عهدته العرب البلاغة وقوة البيان وكان أيضا محل الإعجاز في نفس الوقت، فمن كلام الطاهر بن عاشور يظهر لنا أن له اعتناءا كبيرا باللسان العربي وبكل قواعد العربية، ومعرفة أيام العرب وأخبارها، وكذا الاستعانة بكلام الصحابة في فهم القرآن الكريم، فتراه يعتني في كل تفسيره بما احتوته الآيات من بلاغة وقوة بيان، بل كان هدفه الأول والأسمى هو الاعتناء بهذا المبحث، البلاغة والبيان، وقد عاب على المفسرين قبله أنهم لم يوفوا قدره إلا قليلا، قال الطاهر بن عاشور:"ولكن فنًّا من فنون القرآن لا تخلو عن دقائقه ونكته آية من آيات القرآن، وهو فن دقائق البلاغة هو الذي لم يخصه أحد من المفسرين بكتاب كما خصوا الأفانين الأخرى، من أجل ذلك التزمت أن لا أغفل التنبيه على ما يلوح لي من هذا الفن العظيم، في آية من آي القرآن، كلما ألهمته بحسب مبلغ الفهم وطاقة التدبر."[1]، واهتمام الطاهر بن عاشور بالبلاغة والبيان في القرآن، رأي سديد لمن تدبره، فمعلوم أن للقرآن إعجاز، فقد تحدى الله تعالى العرب بأن يأتوا بمثله فما استطاعوا، ودلت الأخبار على

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص8.

انبهارهم ببلاغته وحسن أسلوبه، وكان ذلك موطن الإعجاز[1]، على خلاف مع المعتزلة في تقريرهم لنظرية الصرفة بأن الله صرفهم على أن يأتوا بمثله، وسلبهم القدرة على ذلك[2].

ومعلوم تضعيف العلماء لهذا الرأي[3]، فالطاهر بن عاشور يرى التركيز في التفسير على الاعتناء بالبلاغة والبيان، حيث قال الشيخ :"إن العرب أمة جبلت على ذكاء القرائح وفطنة الأفهام ، فعلى دعامة فطنتهم وذكائهم أقيمت أساليب كلامهم، وبخاصة كلام بلغائهم، ولذلك كان الإيجاز عمود بلاغتهم لاعتماد المتكلمين على أفهام السامعين...وملاك ذلك كله توفير المعاني، وأداء ما في نفس المتكلم بأوضح عبارة وأخصرها ليسهل اعتلاقها بالأذهان...فجاء القرآن على أسلوب أبدع مما كانوا يعهدون وأعجب، فأعجز بلغاء المعاندين عن معارضته و لم يسعهم إلا الإذعان."[4] ويرى الطاهر بن عاشور أنه من صميم علم التفسير، وأنه المجال الأكبر الذي كانت العرب تتبارى فيه في كلامها شعرا ونثرا، وأنه محل الإعجاز في القرآن الكريم.

---

[1] ينظر: مداخل إعجار القرآن-محمود شاكر-دط،مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر:ص50. وينظر: ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن-للرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني-ت:محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام،ط3،دار المعارف مصر:ص21 ص75 ص120 ص197. وينظر: دلائل الإعجاز القرآن-أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني-ت:محمود محمد شاكر،دط،دار المعارف مصر:ص385.وينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن-محمد عبد الله دراز-ت:عبد الحميد الدخاخني،ط1،دار طيبة المملكة العربية السعودية الرياض،1417هـ/1997م: ص95.وينظر:المجيد في إعجاز القرآن المجيد-لابن الخطيب الزملكان-ت:شعبان صلاح،ط1،دار الثقافة العربية القاهرة،1410هـ/1989م:ص120.

[2] إن نظرية الصرفة ليست بمذهب واحد عند المعتزلة وغيرهم، بل اختلف علماء الكلام في نظرية الصرفة إلى عدة أقوال، ذكرها الحافظ ابن حزم في كتابه"الفصل"،ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم الظاهري-ت:عبد الرحمان خليفة،ط1،مطبعة محمد علي صبيح مصر،1347هـ: ج3ص12.

[3] ومن الذين يضعفون قول المعتزلة هو الطاهر بن عاشور وقد أفاض في الرد عليهم وتصحيح قول جمهور العلماء بأن موطن الإعجاز هو بلاغة القرآن وأسلوبه البديع الذي عجز عنه بلغاء العرب.

[4] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص93.

رابعا: مبتكرات القرآن:

ومما يجدر التنبيه عليه أن من مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور، أنه يرى أن القرآن ابتكر أساليب لم تكن تعرفها العرب في لسانها، قال الطاهر بن عاشور:"وقد اشتمل القرآن على أنواع أساليب الكلام العربي وابتكر أساليب لم يكونوا يعرفونها وإن لذلك التنويع حكمتين داخلتين في الإعجاز أولهما ظهور أنه من عند الله، إذ قد تعارف الأدباء في كل عصر أن يظهر نبوغ نوابغهم على أساليب مختلفة كل يجيد أسلوبا أو أسلوبين، والثانية أن يكون في ذلك زيادة التحدي."[1]، وقال أيضا:"وقد تتبعت أساليب من أساليب نظم الكلام في القرآن فوجدتها مما لا عهد بمثلها في كلام العرب."[2] وهذا بخلاف ما قعده الشاطبي في الموافقات من قواعد، فهو لا يرى أن القرآن يخرج عن أساليب العرب، يقول الشاطبي:"فإن قلنا إن القرآن نزل بلسان العرب وإنه عربي وإنه لا عجمة فيه، فبمعنى أنه أنزل على لسان معهود العرب في ألفاظها الخاصة، وأساليب معانيها...فإذا كان كذلك فالقرآن في معانيه وأساليبه على هذا الترتيب."[3]، لعل الشاطبي يرى أن القرآن جاء على أساليب العرب في الكلام لكن على سبيل الكمال في البيان، بحيث يتعذر عليهم بلوغه، وقال الطاهر بن عاشور ردا على كلام الشاطبي:"هذا والشاطبي قال في الموافقات:(إن القرآن لا تحمل معانيه ولا يتأول إلا على ما هو متعارف عند العرب) ولعل هذا الكلام صدر منه في التقصي من مشكلات في مطاعن الملحدين اقتصادا في البحث وإبقاء على نفيس الوقت، وإلا فكيف ينفي إعجاز القرآن لأهل كل العصور."[4]، الفرق واضح بين قول الطاهر بن عاشور

---

[1] المصدر السابق: ج1ص115.

[2] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص122.

[3] الموافقات-الشاطبي: ج2ص50.

[4] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص128.

والشاطبي أن جعل ابن عاشور في القرآن أساليب لغوية جديدة لم تعرفها العرب، وكانت في نفس الوقت من إعجاز القرآن الكريم للعرب، وجعل الشاطبي هذا مستحيلا أن يكون في القرآن، لأن الله خاطب بالقرآن العرب بلسانهم وبما يعرفون ويعهدون، فدعوى مخاطبتهم بما لا يعهدون من أساليب العربية مصادم للنصوص المؤكدة على عربية القرآن، من هذا الفرق بين العَلَمين يمكن القول أن الطاهر بن عاشور يلتزم معهود العرب في التفسير إلا أن له استثناءات قد ترد في القرآن على غير معهود العرب في أساليب كلامها، وأما الشاطبي فينفي ذلك وإن وقع فمن جهل المرء باللسان العربي وسعته كما قال الشافعي في الرسالة أن اللسان العربي لا يمكن الإلمام به إلا لمن كان نبيا لسعته وعراقته، قال الشافعي:"ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبا، وأكثرها ألفاظا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه"[1]، ويمكن القول أيضا أن الخلاف لفظي فقط، فابن عاشور يرى وجود أساليب لا عهد للعرب بها في القرآن الكريم ولكنها من جنس كلامها، فما أنكرت العرب عربيتها ولكن تعجبت من جديد أسلوبها وقوة بيانه والله أعلم، ولعبد الله دراز كلام يفي بالغرض ويقارب بين القولين قال رحمه الله:"أما أن القرآن الكريم لم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم إفرادا وتركيبا فذلك في جملته حق لا ريب فيه، وبذلك كان أدخل في الإعجاز، وأوضح في قطع الأعذار، قال تعالى:﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ﴾ سورة فصلت الآية:44، أما بعد فهل ذهب عنك أن مثل صنعة البيان كمثل صنعة البُنيان، فالمهندسون البناءون لا يخلقون مادة بناء لم تكن في الأرض ولا يخرجون في صنعتهم عن القواعد العامة، ولا يعدو ما يصنعونه أن يكون جدرانا مرفوعة وسقُفاً موضوعة، وأبوابا مشرَّعةً ولكنهم تتفاضل صناعاتهم وراء ذلك في اختيار أمتن المواد وأبقاها

[1] الرسالة–الشافعي:ص42.

على الدهر، وأكنها للناس من الحر والقر، وفي تعميق الأساس وتطويل البنيان، وتخفيف المحمول منها على حامله، والإنتفاع بالمساحة اليسيرة في المرافق الكثيرة وترتيب الحجرات والأبهاء بحيث يتخللها الضوء والهواء، فمنهم من يفي بذلك كله أو جله، ومنهم من يخل بشيء منه أو أشياء، إلى فنون من الزينة والزخرف، يتفاوت الذوق الهندسي فيها تفاوتا بعيدا، كذلك ترى أهل اللغة الواحدة يؤدون الغرض الواحد، على طرائق شتى يتفاوت حظها من الحسن والقَبول، وما من كلمة من كلامهم ولا وضع من أوضاعهم بخارج عن مواد اللغة وقواعدها في الجملة، ولكنه حُسن الاختيار في تلك المواد والأوضاع، قد يعلو بالكلام حتى يسترعي سمعك ويثلج صدرك ويملك قلبك، وسوء الاختيار في شيء من ذلك قد يترل به حتى تمجه أذنك، وتغثي منه نفسك، وينفر منه طبعك."[1]، ولعل هذا الوجه الأخير في الجمع بين الوجهتين للشاطبي والطاهر بن عاشور أولى والله أعلم.

خامسا: التفسير الإشاري:

مما يتميز به الطاهر بن عاشور أنه يرى بجواز التفسير الإشاري[2] بضوابط يراها حامية له على أن يزل المفسر عن التفسير المؤسس على ضوابطه وقواعده، يقول الطاهر بن عاشور:"وعندي أن هذه الإشارات لا تعدوا واحدا من ثلاثة أنحاء: الأول: ما كان يجري فيه معنى الآية مجرى التمثيل لحال شبيه بذلك المعنى كما يقولون مثلا :" ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ ﴾ سورة البقرة الآية:114، أنه

[1] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن-محمد عبد الله دراز-دط،دار القلم الكويت:ص90.

[2] قال سهل التستري قي تفسيره:"وما من آية في القرآن إلا ولها أربعة معان ظاهر وباطن وحد ومطلع، فالظاهر التلاوة والباطن الفهم، والحد حلالها وحرامها، والمطلع إشراف القلب على المراد بها فقها من الله عز وجل." ينظر:تفسير القرآن العظيم-لأبي محمد سهل ابن عبد الله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن رفيع التستري-ت:طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد علي،ط1،دار الحرم للتراث القاهرة،2004:ص76.

إشارة للقلوب لأنها مواضع الخضوع لله تعالى إذ بها يعرف فتسجد له القلوب بفناء النفوس، ومنعها من ذكره هو الحيلولة بينها وبين المعارف اللدنية، وسعى في خرابها بتكديرها بالتعصبات وغلبة الهوى، فهذا يشبه ضرب المثل لحال من لا يزكي نفسه بالمعرفة ويمنع قلبه أن تدخله صفات الكمال الناشئة عنها بحال مانع المساجد أن يذكر فيها اسم الله، وذكر الآية عند تلك الحالة كالنطق بلفظ المثل، والثاني: ما كان من نحو التفاؤل فقد يكون للكلمة معنى يسبق من صورتها إلى السمع هو غير معناها المراد وذلك من باب انصراف ذهن السامع إلى ما هو المهم عنده، والذي يجول في خاطره وهذا كمن قال في قوله تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ ﴾ سورة البقرة الآية:255، من ذلَ ذي إشارة إلى النفس يصير من المقربين الشفعاء، فهذا يأخذ صدى موقع الكلام في السمع ويتأوله على ما شغل به قلبه، ولقد رأيت الشيخ محي الدين يسمي هذا النوع سماعا ولقد أبدع، الثالث: عبر ومواعظ وشأن أهل النفوس اليقظى أن ينتفعوا من كل شيء ويأخذوا الحكمة حيث وجدوها فما ظنك بهم إذا قرؤوا القرآن وتدبروه واتعظوا بمواعظه فإذا أخذوا من قوله تعالى: ﴿ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾ سورة المزمل الآية:16، اقتبسوا أن القلب الذي لم يتمثل رسول المعارف العليا تكون عاقبته وبالا."[1]، فالظاهر أن الطاهر بن عاشور لم يجعل التفسير الإشاري أحد التفاسير المعتمدة المستندة إلى قواعد التفسير ومن بينها مراعاة معهود العرب، فالتفسير الإشاري هو تفسير الآيات على غير ما دل عليه ظاهر اللفظ، وما وضع له، وعلى غير ما عهدته العرب، ومن الأدلة التي تدل على أن الطاهر بن عاشور لا يعتبر التفسير الإشاري تفسيرا قوله:"أما ما يتكلم به أهل الإشارات من الصوفية

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص36.

في بعض آيات القرآن من معان لا تجري على ألفاظ القرآن ظاهرا ولكن بتأويل ونحوه فينبغي أن تعلموا أنهم ما كانوا يدعون أن كلامهم في ذلك تفسير للقرآن، بل يعنون أن الآية تصلح للتمثل بها في الغرض المتكلم فيه، وحسبكم في ذلك أنهم سموها إشارات و لم يسموها معاني، فبذلك فارق قولهم قول الباطنية ."[1]، وكذا قوله في موطن آخر:"فنسبة الإشارة إلى لفظ القرآن مجازية لأنها إنما تشير لمن استعدت عقولهم وتدبرهم في حال من الأحوال الثلاثة ولا ينتفع بها غير أولئك، فلما كانت آيات القرآن قد أنارت تدبرهم وأثارت اعتبارهم نسبوا تلك الإشارة للآية، فليست تلك الإشارة هي حق الدلالة اللفظية والاستعمالية حتى تكون من لوازم اللفظ وتوابعه كما قد تبين."[2]، ولما كان التفسير الإشاري قريب جدا من التفسير الباطني، وله من التشابه ما يجعل الغير متأمل يلحق التفسير الإشاري بالباطني كان ما ذكره الطاهر بن عاشور من الحالات الثلاثة المذكورة سابقا ضابطا لذلك قال رحمه الله:"وكل إشارة خرجت عن حد هذه الثلاثة الأحوال إلى ما عاداها فهي تقترب إلى قول الباطنية[3] رويدا رويدا إلى أن تبلغ عين مقالاتهم وقد بصرناكم بالحد الفارق بينهما، فإذا رأيتم اختلاطه فحققوا مناطه، وفي أيديكم فيصل الحق فدونكم اختراطه."[4]، بهذا الرأي من

---

[1] المصدر السابق: ج1ص35.

[2] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور: ج1ص36.

[3] قال الشاطبي:"كل معنى مستنبط من القرآن غير جار على اللسان العربي فليس من علوم القرآن في شيء، لا مما يستفاد منه، ولا مما يستفاد به، ومن ادعى فيه ذلك فهو في دعواه مبطل."، ومن الأمثلة التي ذكرها الشاطبي لمن خالفوا هذا المنهج وهم الباطنية: تفسير بيان بن سمعان الذي تنسب إليه فرقة البيانية الرافضية تفسيره لقوله تعالى: ﴿ هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ ﴾ سورة آل عمران الآية:138، أنه المراد في الآية وكذلك كسف ابن منصور الذي تنسب إليه المنصورية في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يَّرَوْاْ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطاً ﴾ سورة الطور الآية:44، على أن المراد بالآية هو كسف إلى غيره من تفاسير الباطنية الشاذة الغير منضبطة بضوابط التفسير." ينظر: الموافقات–الشاطبي: ج3ص293.

[4] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور: ج1ص36.

الطاهر بن عاشور وعدم اعتبار التفسير الإشاري تفسيرا أصلا يجعله محافظا على ضابط مراعاة معهود العرب في الخطاب القرآني، وعلى مراعاة عربية القرآن، إذ كل ما في التفسير الإشاري وأساسه هو عدم مراعاة معهود العرب في معاني الألفاظ والجمل، لأجل ذلك نرى كثيرا من علماء التفسير والأصول يرفضون التفسير الإشاري جملة وتفصيلا كابن العربي المالكي وغيره، فهو من النافين له كلية ويجعله قسيم التفسير الباطني، وقد تعرض في كتابه العواصم من القواصم[1] إلى كثير من مقولاتهم، إلا أن هناك تساؤل يفرض نفسه، وهو كيف يمكن الجمع بين مدح الطاهر بن عاشور التفسير الإشاري وسماه ابداعا في حقهم، وبين نفيه كونه تفسيرا؟، فالظاهر من كلام الطاهر بن عاشور أنه يجيزه لطائفة معينة وهم من بلغوا درجة التأمل والزهد فيكون خاصا بهم، والله أعلم.

بعد النظر في كلام الطاهر بن عاشور يظهر لنا جليا أنه يتفق مع سائر علماء التفسير، والأصول، والشريعة عموما بأن العلم بلسان العرب ومعرفة عاداتهم وأحوالهم، ومراعاة أقوال الصحابة، مهم في معرفة معاني القرآن الكريم، وقد أسس لهذا المنهج القويم في ثنايا مقدمات تفسيره التحرير والتنوير، غير أنه يختلف مع بعض العلماء خاصة كون ان في القرآن أساليب لغوية هي من جنس العربية ولكن لا عهد للعرب بها، غير أنها من مبتكرات القرآن وجعلها من أساسيات الإعجاز في القرآن، كما أنه يخالف بعض العلماء وخاصة الشاطبي في ضوابط الاستعانة بمعهود العرب وكذا أثره في التفسير وهذا ما سنبحثه في المطلب الثاني.

[1] ينظر: العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم-أبي بكر ابن العربي- ت:محمود مهدي استنبولي ومحب الدين الخطيب،ط6،منشورات مكتبة السنة القاهرة،1412هـ:ص183.

المطلب الثاني:ضوابط الأخذ بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور وأثره في التفسير.

سنحاول تتبع كلام الطاهر بن عاشور، من أجل الوصول إلى مذهبه في توظيف معهود العرب لفهم النصوص، وفي ثنايا البحث ندرج مقارنة متواضعة مع غيره من العلماء، كالشاطبي خاصة.

أ–ضوابط الأخذ بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور:

بعد أن تتبعنا كلام الطاهر بن عاشور في مقدمات تفسيره وفي شرحه على الموطأ، توضح لدينا مفهومه لمعهود العرب، وأنه يوافق ما عليه علماء الشريعة عموما إلا فيما نذر، ولا شك أن الطاهر بن عاشور له ضوابط للاستعانة بمعهود العرب، نذكرها بحسب ما بلغ إليه استقراؤنا:

الضابط الأول: إتقان اللسان العربي:

إتقان اللسان العربي وقواعد اللغة العربية، والإلمام بعادات العرب وأيامها وأخبارها وتصاريفها في أقوالها، حتى يبلغ صاحبها درجة الذوق البلاغي، تماما كالعربي الفصيح القح، وكذا النظرفي تفسير الصحابة فهم أعلم بما عهدته العرب في خطابها كيف لا وهم العرب الأقحاح أولا والمعاصرون للوحي ثانيا، قال الطاهر بن عاشور:"ونعني بقواعد العربية مجموع علوم اللسان العربي وهي: متن اللغة، والتصريف، والنحو ، والمعاني ، والبيان، ومن وراء ذلك استعمال العرب المتبع من أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وتراكيب بلغائهم."[1]، وقال:"وأما استعمال العرب، فهو التملي في أساليبهم في خطبهم وأشعارهم وأمثالهم وعوائدهم ومحادثاتهم ليحصل بذلك لممارسة المولد ذوق يقوم عنده مقام السليقة والسجية

[1] التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص18.

عند العربي القح والذوق: هو كيفية للنفس بها تدرك الخواص والمزايا التي للكلام البليغ...لذلك –أي لإيجاد الذوق أو تكميله- لم يكن غنى للمفسر في بعض المواضع من الاستشهاد على المراد في الآية، ببيت من الشعر، أو بشيء من كلام العرب لتكميل ما عنده من الذوق، عند خفاء المعنى، ولإقناع السامع والمتعلم الذين لم يكمل لهما الذوق في المشكلات."[1]، وما يدخل أيضا في استعمال العرب أمور أخرى هي مساعدة على تحصيل درجة الذوق البلاغي، والإلمام بأسرار اللسان العربي الذي به أنزل الوحي، فيكون المفسر مؤهلا لمعرفة ما عهدته العرب في تلقي الخطاب، من هذه الأمور: ما نقل إلينا من تفسير الصحابة لكثير من الآيات فهم أهل اللغة والمعاصرون لنزول الوحي، فهم الأولى بمراعاة تفسيرهم، قال الطاهر بن عاشور:"ويدخل في مادة الإستعمال العربي ما يؤثر عن بعض السلف في فهم معاني بعض الآيات على قوانين استعمالهم."[2]، ولتفسيرات الصحابة أمثلة كثيرة في الصحيحين، وفي كتب التفاسير.

الضابط الثاني: القرآن يحوي علوا لم تعرفها العرب:

أن في القرآن من العلوم ما لا تعرفه العرب وله صلة بعلوم المستقبل وهذا من إعجازه أيضا، فالقرآن مهما نزل على العرب خاصة، إلا أن خطابه لجميع الأمم، فإن معانيه غير مقصورة في الفهم على إحدى الأمم دون الأخرى، قال الطاهر بن عاشور:"ولا شك أن الكلام الصادر عن علام الغيوب تعالى وتقدس لا تبنى معانيه على فهم طائفة واحدة، ولكن معانيه تطابق الحقائق، وكل ما كان من الحقيقة في علم من العلوم وكانت الآية لها إعتلاق بذلك فالحقيقة العلمية مرادة بمقدار ما بلغت إليه أفهام البشر وبمقدار ما ستبلغ إليه."[3]، كما

---

[1] المصدر السابق:ج1ص21.

[2]: التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج1ص23.

[3] المصدر نفسه:ج1ص44.

أن القرآن فيه ما لم تعهده العرب من العلوم والإستدلالات، وأنه قد استوعب كل العلوم، والضابط في ذلك أن لا يخرج اللفظ عن عربيته، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل، وهذا خلاف لما صرح به الشاطبي في الموافقات فقد قال:"أنه إنما يصح في مسلك الأفهام والفهم ما يكون عاما لجميع العرب، فلا يتكلف فيه فوق ما يقدرون عليه بحسب الألفاظ والمعاني."[1]، وقال:"أن تكون التكاليف الإعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها ليسعه الدخول تحت حكمها."[2]، ويؤكد أكثر الشاطبي في معرض ردّه على من جعل علوم أُخرى معينة على فهم القرآن غير العربية والناسخ والمنسوخ وقواعد أصول الفقه وعلم القراءات وغير ذلك من العلوم المعروفة بين العلماء أنها من العلوم المساعدة على فهم القرآن والتي اصطلحوا عليها بعلوم الآلة، قال رحمه الله:"وأما غير ذلك فقد يعدّه بعض الناس وسيلة أيضا ولا يكون كذلك، كما تقدم في حكاية الرازي في جعل علم الهيئة وسيلة إلى فهم قوله تعالى:﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ﴾ سورة ق الآية:6، وزعم ابن رشد الحكيم في كتابه الذي سماه بـــ"فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الإتصال" أن علوم الفلسفة مطلوبة، إذ لا يفهم المقصود من الشريعة على الحقيقة إلا بها ولو قال قائل إن الأمر بالضد مما قال لما بعد في المعارضة، وشَاهدُ ما بين الخصمين شأن السلف الصالح في تلك العلوم، هل كانوا آخذين فيها؟ أم كانوا تاركين لها أو غافلين عنها؟ مع القطع في تحققهم بفهم القرآن، يشهد لهم

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص66.

[2] المصدر نفسه: ج2ص67.

بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، والجم الغفير فلينظر امرؤ أين يضع قدمه."[1]، وهذا خلاف رأي الطاهر بن عاشور وقد رد على الشاطبي بأجوبة كثيرة.

الضابط الثالث: القرآن بلالغ لكل الأمم:

إذا كان القرآن نزل على وفق ما تعرفه العرب فتكاليفه غير مقصورة عليها فبالرغم من أن القرآن نزل على العرب، إلا أن كل الأمم مكلفة بخطاب الله تعالى، أما العرب فهم الناقلون للتشريع إلى سائر الأمم، قال الطاهر بن عاشور:"فيجب أن تعلموا قطعا أن ليس المراد بخطاب العرب بالقرآن أن يكون التشريع قاصرا عليهم أو مراعيا لخاصة أحوالهم، بل إن عموم الشريعة ودوامها وكون القرآن معجزة دائمة مستمرة على تعاقب السنين ينافي ذلك"[2]، فلا خصوصية للعرب في التشريع وما عهدت العرب أن الخطاب القرآني مقصور عليها بل هو عام بعموم الشريعة المطهرة، إلا أن القرآن أراد في خطابه تهيئة أمة العرب لعبئ التبليغ وإيصال هذا الخير للأمم الأخرى، فقوم القرآن عادات العرب السيئة ومنها ما ألغاها تماما لتصادمها مع مقاصد التشريع، ومنها ما قبلها القرآن وأقرها لتماشيها مع الطبع السليم والشرع المطهر، ولعلها مما تبقى من دين إبراهيم عليه السلام، قال الطاهر بن عاشور:"نعم إن مقاصده تصفية نفوس العرب الذين اختارهم لتلقي شريعته لبثها ونشرها، فهم المخاطبون ابتداء قبل بقية أمة الدعوة فكانت أحوالهم مرعية لا محالة، وكان كثير من القرآن مقصودا به خطابهم خاصة، وإصلاح أحوالهم، قال تعالى : ﴿مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلاَ فَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَاۖ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة هود الآية 49 وقـــال: ﴿ أَن تَقُولُوٓاْ

[1] المصدر نفسه:ج3ص281.

[2] تفسير التحرير والتنوير–الطاهر بن عاشور:ج1ص39.

إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٧﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ﴾ سورة الأنعام الآية 156 لكن ليس ذلك بوجه الإقتصار على أحوالهم"[1]، ولقد كفانا علماء الأصول في هذا المعنى بقولهم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فالتشريع عام لكل الأمم والسبب مقصور على العرب.

ب-أثر الضوابط في التفسير:

أما الضابط الأول:

وهو إتقان اللسان العربي وما له صلة به كقواعد العربية واستعمال العرب ومعرفة أيامها وأخبارها، فهو يورث المعرفة الصحيحة بأسرار اللسان، وبتأثير الأعراف على معنى الكثير من النصوص القرآنية، قال الشاطبي:"أنه لا بد من فهم الشريعة من اتباع معهود الأميين وهم العرب الذين نزل القرآن بلسانهم فإن كان للعرب في لسانهم عرف مستمر، فلا يصح العدول عنه في فهم الشريعة، وإن لم يكن ثم عرف فلا يصح أن يجري في فهمها على ما لا تعرفه."[2] ولا يتصور للعالم أن يحكم عرف العرب إذا لم يكن ملما بما ذكرناه سابقا، فأثر اتقان هذه المعرفة في التفسير هو الوصول إلى البيان الصحيح للقرآن وعدم الغلط فيه وإصابة المعنى المراد من الله عز وجل في كتابه، وكذا يكون هناك إثراء للتفاسير بشواهد الشعر العربي الجاهلي، وأخبار العرب وأيامها للإستدلال على تفسير الآية وكذا الإشتغال أكثر ببلاغة القرآن التي دهش منها العرب وإيصال دقائق المعاني للقارئ، وهذا ما اتصف به تفسير

[1] المصدرالسابق: ج1ص39.

[2] الموافقات-الشاطبي: ج2ص62.

الطاهر بن عاشور، كثرة الاستشهاد بالشعر والبحث عن حقائق المعاني خاصة الغامضة إعمالا لعلم البيان والبلاغة.

وأما الضابط الثاني:

أن القرآن فيه ما لم تعهده العرب من العلوم، فلهذا الضابط انعكاسات على ما سيملؤ المفسر تفسيره، وتأثيره أن المفسر سيقحم في التفسير علوما دنيوية وطبيعية كثيرة إذا ما ظهرت المناسبة لذلك، قال الطاهر بن عاشور:"وشرط أن يكون ذلك مقبولا أن يسلك فيه مسلك الإيجاز، فلا يجلب إلا الخلاصة من ذلك العلم، ولا يصير الإستطراد كالغرض المقصود."[1] وقال أيضا:"وللعلماء في سلوك هذه الطريقة أراء: فأما جماعة منهم فيرون من الحسن التوفيق بين العلوم غير الدينية، وآلاتها وبين المعاني القرآنية، ويرون القرآن مشيرا إلى كثير منها."[2]، سلك الطاهر بن عاشور مسلك جمهور العلماء حسب ذكره مخالفا بذلك الشاطبي وابن عربي، أما الشاطبي فقد قرر عدم صحة كون القرآن يحوي علوما غير العلوم التي تعرفها العرب وأن من الآثار السلبية المترتبة على ذلك هو شحن التفاسير بمختلف علوم الأمم الأخرى، يقول الشاطبي رحمه الله تعالى:"ما تقرر من أمية الشريعة وأنها جارية على مذاهب أهلها وهم العرب ينبني عليه قواعد: منها: أن كثيرا من الناس تجاوزوا في الدعوى على القرآن الحد، فأضافوا إليه كل علم يذكر للمتقدمين أو المتأخرين، من علوم الطبيعيات، والتعاليم، والمنطق، وعلم الحروف، وجميع ما نظر فيه الناظرون من هذه الفنون وأشباهها...وإلى هذا فإن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن يليهم كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وبما أودع فيه، ولم يبلغنا أنه تكلم أحد منهم في شيء من هذا...ولو كان

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص43.

[2] المصدر نفسه: ج1ص45.

لهم في ذلك خوض ونظر، لبلغنا منه ما يدلنا على أصل المسألة."[1]، وأما موقف ابن العربي فقد نفى من تلك العلوم الفلسفة فقط، قال الطاهر بن عاشور:"وذهب ابن العربي في العواصم إلى إنكار التوفيق بين العلوم الفلسفية والمعاني القرآنية و لم يتكلم على غير هذه العلوم وذلك على عادته في تحقير الفلاسفة لأجل ما خولطت به من الضلالات الإعتقادية وهو مفرط في ذلك مستخف بالحكماء."[2]، فلازم قول الطاهر بن عاشور هو عدم إعمال ما عهدته العرب في خطابها في بعض الآيات، لأجل إدخال علوم لم تعرفها العرب في التفسير، وأما الشاطبي فجعل الأمر مطردا فنفى ذلك، والله أعلم، لكن ابن عاشور أضاف قيدا وهو قوله "بشرط أن يحافظ اللفظ على عربيته، ولا يبعد عن الظاهر إلا بدليل."، فهذا القيد يساهم في بقاء التفسير في حيز العربية التي نزل بها القرآن مهما أضاف المفسر في تفسيره علوما لم تعرفها العرب، والله أعلم.

وأما الضابط الثالث:

كون الشريعة عامة لكل الأمم فقد ثبت ذلك في نصوص متواترة كون النبي صلى الله عليه وسلم بعث للناس كافة، بالرغم من نزولها على العرب فهذا لا يمنع عمومها، وأما ما يترتب عليه فذكر الأحكام الشرعية المبينة في القرآن على وجه التفصيل والإسهاب لتعم كل الخلق وتستوفي كل نازلة نزلت بالمسلمين والله أعلم.

---

[1] الموافقات-الشاطبي: ج2ص61.

[2] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج1ص45.

المبحث الثاني:الجانب التطبيقي للإستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.

سنحاول في هذا المبحث التمثيل من تفسير الطاهر بن عاشور في إعماله لمعهود العرب وتوظيفه في فهم الآيات، كما يجدر بنا التنبيه أن المراد التمثيل فقط دون الإستقراء التام ومحاولة حصر الأمثلة، بل نكتفي بالتمثيل حتى يتضح المراد وينجلي الغطاء.

المطلب الأول: نماذج تطبيقية من القرآن المكي:

1- في قوله تعالى:﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ۝٩ ﴾

سورة التكوير الآية رقم:9.

يقول الطاهر بن عاشور:"والوأد: دفن الطفلة وهي حية...وكانوا يفعلون ذلك-أي وأد البنات-خشية إغارة العدو عليهم فيسبي نساءهم، ولخشية الإملاق في سني الجدب لأن الذكر يحتال للكسب بالغارة وغيرها والأنثى عالة على أهلها."[1]،بين الطاهر بن عاشور أن الوأد كان من عادات العرب التي استحسنوها، وأنكرها عليهم الشرع جملة وتفصيلا فقضى بتحريمها، ومما يبين علم المؤلف الدقيق بعادات العرب هو تحديد القبائل التي كانت تباشر الوأد والتي غاب فيها ذلك قال ابن عاشور:"ولم يكن الوأد معمولا به في جميع القبائل، قيل أول من وأد البنات من القبائل ربيعة، وكانت كندة تئد البنات، وكان بنو تميم يفعلون ذلك، ووأد قيس بن عاصم المنقري من بني تميم ثمان بنات له قبل الإسلام، ولم يكن الوأد في قريش البتة."[2]، فيكون بهذا الخطاب موجه إلى العرب عامة وإلى القبائل التي كانت تئد خاصة والله أعلم.

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج30ص145.

[2] المصدر نفسه:ج30ص146.

2- قوله تعالى﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ﴾سورة المطففين الآية رقم:01.

والتطفيف في الميزان والكيل كان مفشيا عند العرب التجار منهم، وخاصة لأهل مكة والمدينة، فأبطل الله هذه العادة السيئة، قال بن عاشور:"والآية بأن التطفيف كان متفشيا في المدينة في أول مدة الهجرة واختلاط المسلمين بالمنافقين يسبب ذلك، واجتمعت كلمة المفسرين على أن أهل يثرب كانوا من أخبث الناس كيلا فقال جماعة من المفسرين: إن هذه الآية نزلت فيهم، فأحسنوا الكيل بعد ذلك، وكان ممن اشتهر بالتطفيف بالمدينة رجل يكنى أبا جهينة واسمه عمرو كان له صاعان يأخذ بأحدهما ويعطي بالآخر."[1]، المعرفة بعادات العرب يجعل المفسر يستوحي معاني أخرى للآية ألا وهي تفشي خلق التطفيف في تجار العرب، وأنهم هم المتوعدون بالويل.

3- قوله تعالى:" فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَالاَرْضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ۝٢٨" سورة الدخان الآية:28، إن من عادات العرب إذا مات لهم عظيم، يقولون بكت عليهم السماء، فخاطبهم الله بما عهدوه، بأن توعدهم العقوبة والهلاك، ولا يكن ذلك أمرا عظيما في حقهم تحقيرا لهم، قال الطاهر بن عاشور:"وكان من كلام العرب إذا هلك عظيم أن يهولوا أمر موته بنحو: بكت عليه السماء، وبكته الريح، وتزلزلت الجبال، قال النابغة في توقع موت النعمان بن المنذر من مرضه:

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والبلد الحرام

وقال في رثاء النعمان بن الحارث الغساني:

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج30ص190.

بكى حارث الجولاني من فقد ربه وحوران منه موحش متضائل

والكلام مسوق مساق التحقير لهم."[1]، فهذا المعنى لا يتوصل إليه إلا إذا علمنا عادات العرب في تلقي هذا النوع من الخطاب، وما ينعكس من إحساس بالخوف لديهم، أكثر من التهديد الذي لم يعهدوه في خطابهم.

4- قوله تعالى:﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ ﴾ سورة الصافات الآية:65.

من عادات العرب القولية أنها إذا أرادت أن تعبر عن سوء المنظر تشبهه بالشيء السيء القبيح، وأقبح شيء تستعمله في التشبيه هو الشيطان، قال الطاهر بن عاشور:"وطلع شجرة الزقوم غير معروف فوصف للناس فضيعا بشعا، وشبهت بشاعته ببشاعة رؤوس الشياطين، وهذا التشبيه من تشبيه المعقول بالمعقول...ونظيره قول امرؤ القيس: وسنونة زرق كأنياب أغوال."[2]، بين ابن عاشور المعنى المعهود عند العرب ببيت الشعر، الذي شبه به امرؤ القيس بأنياب أغوال، والأغوال هي أحد أنواع الشياطين عند العرب.

5- قوله تعالى:﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ﴾ سورة القيامة الآية:33.34.

من أعراف العرب القولية أنهم إذا استعملوا كلمة أولى فهي بمعنى التوعد والتهديد، قال الطاهر بن عاشور:"قوله: أولى لك، وعيد،وهي كلمة توعد تجري مجرى المثل، ...قال الأصمعي: معناه قاربك ما تكره، وقالت الخنساء:

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج25ص303.

[2] المصدر نفسه:ج23ص124.

هممت بنفسي كل الهموم فأولى لنفسيا أولى لها .

وكان القانص إذا أفلته الصيد يخاطب الصيد بقوله (أولى لك)."[1]، ما نقله ابن عاشور من كلام العرب لدليل صريح على معنى كلمة "أولى" في عرف العرب.

6- قوله تعالى:﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ سورة الإسراء الآية:13.

من عادات العرب زجر الطائر إذا أراد أحدهم السفر فكان للطائر معنى الخير والشر، وكذا عند رمي السهام على ما يقتسم كانوا يسمونه طائرا، وقد بين ذلك الطاهر بن عاشور بقوله:"والطائر أطلق على السهم، أو القرطاس الذي يعين فيه صاحب الحظ،في عطاء أو قرعة لقسمة أو أعشار جزور المبسر، يقال اقتسموا الأرض فطار لفلان كذا، ومنه قول أم العلاء الأنصارية في حديث الهجرة:﴿ اقتسم الأنصار المهاجرين فطار لنا عثمان ابن مظعون﴾[2]، وأصل إطلاق الطائر على هذا، إما لأنهم كانوا يرمون السهام المرموقة بأسماء المتقاسمين ...وكانو يطلقون على رمي السهم فعل الطيران، لأنهم يجعلون للسهم ريشا في قذذه ليخف به اختراقه الهواء، فالطائر هنا أطلق على الحظ من العمل مثل ما يطلق اسم السهم على حظ الإنسان من شيء ما، وإما من زجر الطير لمعرفة بخت أو شؤم الزاجر من حالة الطير التي تعترضه في طريقه، وشاع ذلك في الكلام فأطلق الطائر على حض الإنسان من خير أو شر."[3]، إن معرفة المفسر بعادات العرب في خطابها يوصل الناظر في النصوص

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج29ص363.

[2] أخرجه البخاري(رقم:1243).

[3] المصدر نفسه:ج25ص47.

الشرعية إلى بر الأمان وإلى الفهم الصحيح، ولولا ذلك لفسر الطائر في هذا المثال على ظاهره ولكان خطأ كبيرا.

7- قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ﴿١٠٢﴾﴾ سورة طه الآية:102.

مما تعارف عليه العرب أن زرقة الأعين مكروهة لديهم وكذا زرقة جلد الإنسان، أو العمى يصيب الشخص فتزرق عيناه، وفي هذا الصدد قال ابن عاشور:"والزرق جمع أزرق، وهو الذي لونه الزرقة، وهو في جلد الإنسان قبيح المنظر لأنه يشبه لون ما أصابه حرق نار، وظاهر الكلام أن الزرقة لون أجسادهم، وقيل المراد لون عيونهم، فقيل لأن زرقة العين مكروهة عند العرب، والأظهر على هذا المعنى أن يراد شدة زرقة العين لأنه لون غير معتاد، فيكون كقول بشار:

وللبخيل على أمواله علل زرق العيون عليها أوجه سود

وقيل المراد بالزرق العمي لأن العمى يلون العين بزرقة، وهو محتمل في بيت بشار أيضا."[1]، فعلى هذا تفسر الآية أي بأحد هذه المعاني التي تعرفها العرب دون غيرها.

8- قوله تعالى:﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْراً مَّحْجُوراً ﴿٢٢﴾ ﴾ سورة الفرقان الآية:22.

إن كلمة حجرا محجورا إذا فسرت على ظاهرها تورث معنى معينا، غير أننا إذا نظرنا إلى ما تعهده العرب في مدلولها نجد أن قائلها يقولها إذا نزلت به شدة، قال ابن عاشور:"هي كلمة

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج16ص304.

يقولونها عند رؤية ما يخاف من إصابته بمنزلة الاستعاذة، قال الخليل وأبو عبيدة: كان الرجل إذا رأى الرجل الذي يخاف منه أن يقتله في الأشهر الحرم يقول له: حجرا محجورا، أي حرام قتلي وهي عوذة."[1]، بالإطلاع على معهود العرب لهذه الكلمة يتضح المعنى أكثر، ولا يبقى فيه لبس.

9- قوله تعالى:﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ سورة الصافات الآية:49.

لماذا شبه الحور ببيض النعام المستور؟ يجيب عن ذلك ابن عاشور بقوله:"والبيض المكنون: هو بيض النعام، والنعام يكن بيضه في حفر في الرمل ويفرش لها من دقيق ريشه، فيكون البيض شديد لمعان اللون، وهو أبيض مشوب بياضه بصفرة وذلك اللون أحسن ألوان النساء، وقديما شبهوا الحسان ببيض النعام، قال امرؤ القيس:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها تمتعت بلهو بها غير معجل."[2]

10- قوله تعالى:﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ ﴾ سورة الصافات الآية:177.

لماذا عبر عن الغارة بالتصبيح؟ يبين ذلك الطاهر بن عاشور بقوله:"وذكر الصباح لأنه من علائق الهيئة المشبه بها فإن شأن الغارة أن تكون في الصباح ولذلك كان نذير المجيء بغارة عدو ينادي: يا صباحاه، نداء ندبة وتفجع."[3]، وكانت العرب تسمي يوم الغارة يوم الصباح، فهي من خصائص ما عهدته العرب.

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج19ص7.

[2] المصدر نفسه:ج23ص115.

[3] المصدر نفسه:ج23ص197.

المطلب الثاني: نماذج تطبيقية من القرآن المدني:

سنذكر بعض الأمثلة تبين مراعاة الطاهر بن عاشور لمعهود العرب.

1- قوله تعالى:﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَۖ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥ ﴾ سورة آل عمران الآية:74.

التعبير بالقنطار في الآية لا يعني تحديد الوزن المعروف، بل يعني المال الكثير مبالغة، قال الطاهر بن عاشور:"وقد جعل القنطار والدينار مثلين للكثرة والقلة، والمقصود ما يفيده الفحوى من أداء الأمانة فيما هو دون القنطار، ووقوع الخيانة فيما هو فوق الدينار."[1]

2- قوله تعالى:﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ سورة الحديد الآية:21.

من عادات العرب القولية: اعتبارها سعة الشيء بذكر العرض دون الطول، قال الطاهر بن عاشور:"والعرض يستعمل في السعة وليس مقابل الطول لظهور أنه لا طائل في معنى ما يقابل الطول، ويقول العديل لما فر من وعيد الحجاج:

---

[1] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور:ج3ص287.

ودون يد الحجاج من أن تنالني بساط بأيدي الناعجات عريض."[1]

3- قوله تعالى:﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيداً ﴿٤١﴾ ﴾ سورة النساء الآية:41.

من أعراف العرب القولية أنها إذا قالت: كيف بك إذا كان كذا، تقوله فيما يتوقع حصوله، قال الطاهر بن عاشور:"والحالة التي دل عليها الإستفهام المستعمل في التعجيب تؤذن بحالة مهولة للمشركين."[2]، فالوعيد للمشركين سيقع حتما وكذا وجود الشهيد حاصل لا محالة.

هذه بعض الأمثلة أوردناها لأجل بيان أن الطاهر بن عاشور يراعي معهود العرب في تفسير القرآن الكريم، ولسعة التفسير وكبر حجمه اقتصرنا على التمثيل، لأجل بيان المراد من البحث وإلا فالتمثيل ليس هو المقصود بالدرجة الأولى بل المقصود بيان منهج الطاهر بن عاشور مع أمثلة تطبيقية.

---

[1] المصدر السابق: ج27ص408.

[2] التحرير والتنوير-الطاهر بن عاشور: ج5ص57.

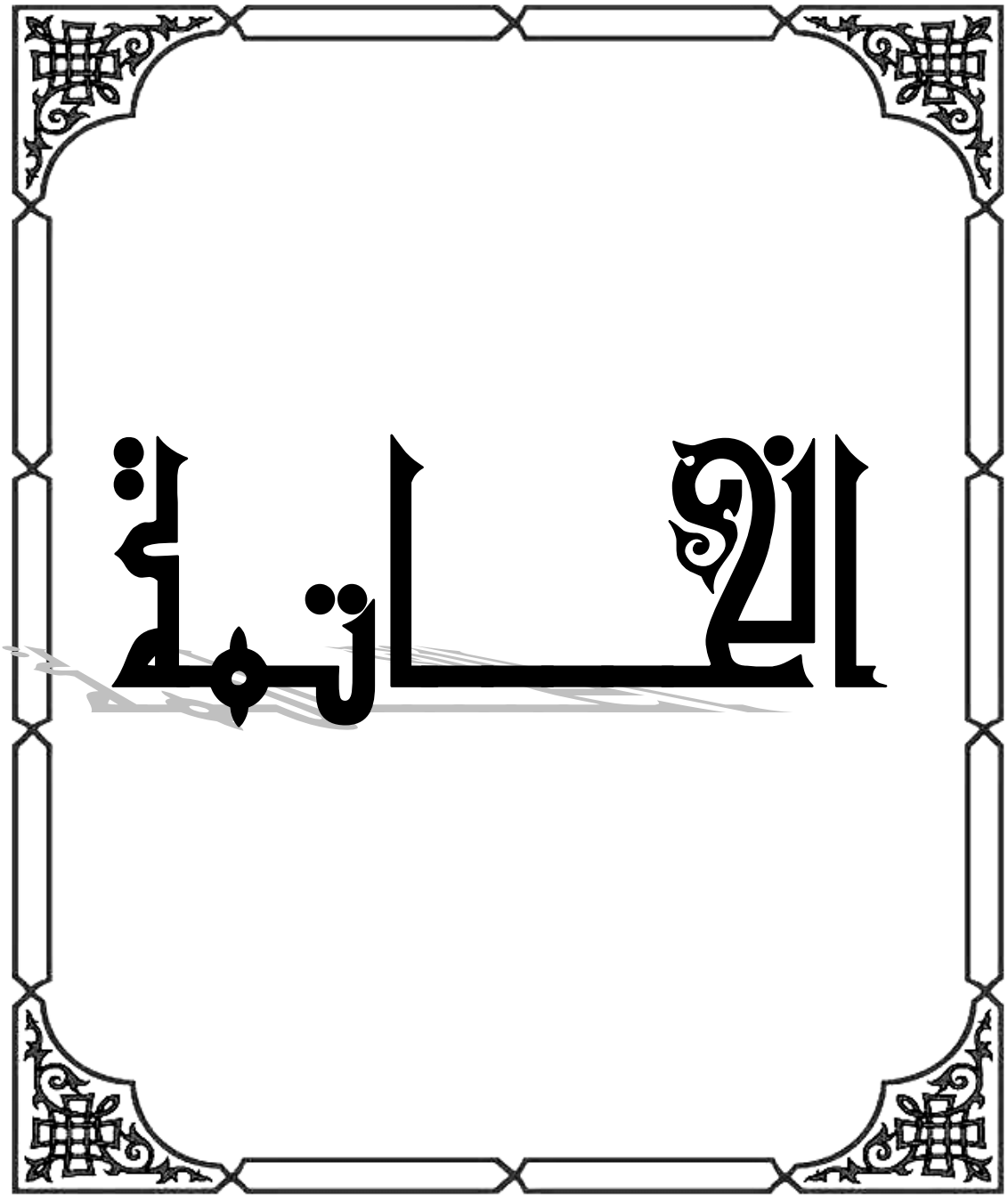
الخاتمة

الخـــــــاتمـــــة:

وفي ختام هذه الدراسة يمكن استخلاص أهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث:

1- إن فصول البحث ومطالبه قد كشفت عن أهمية وضرورة معرفة عادات العرب لأنها أحد مصادر البيان لنصوص الشريعة كتابا وسنة، فتوظيف معهود العرب هو ضرورة ملحة لفهم النصوص فهما صحيحا، وإلا ضل الناظر في الأدلة الشرعية وانحرف عن فهم مراد الله عز وجل .

2- ومن أجل إعمال معهود العرب، على الباحث أن يكون ملما بعادات العرب عارفا بأعرافها، عالما بأخبارها وأيامها وأنسابها، مطلعا على علومها وحرفها وغير ذلك، حتى يبلغ مرتبة يكون الناظر في الدليل الشرعي كأحد العرب الذين نزل القرآن في زمانهم وبه خوطبوا.

3- ومما أسفر عليه البحث أنه كلما ابتعد المفسر عن توظيف معهود العرب في فهم النصوص، كان تفسيره أقرب إلى التفاسير الإشارية والباطنية والعلمانية وتفاسير الحداثيين، الذين لم يراعوا عربية القرآن، وكلما أعمل معهود العرب كان تفسيره محافظا على عربيته، موافقا لقواعد التفسير الصحيحة.

4- كما أنه تين من البحث أن الطاهر ابن عاشور قد وظف معهود العرب في تفسيره، إلا في بعض المواطن كما صرح هو بذلك، كاعتباره التفسير الإشاري بضواط حددها، وكذا أن القرآن يحوي علوما لم تعرفها العرب وجعل ذلك من إعجاز القرآن الكريم، كما أنه صرح بأن القرآن أتى بأساليب لم تعهدها العرب في كلامها فكانت من مبتكرات القرآن،

إلا أن هذه الأخيرة قد بينا وجه التوفيق فيها، وأنه لم يهمل معهود العرب بكلام ذكرناه في محله.

5- بهذا كله يتبين مدى أهمية الاشتغال بالتراث العربي والأدب العربي، وتقديمه على العلوم من حيث الأهمية، وتشجيع الطلبة على دراسته، فهو المفتاح لعلوم الشريعة كلها، وإلى الوصول إلى تكوين يجاري تكوين الأولين في علوم الدين والملة، فلا مناص للأمة لرقيها إلا بتعظيمها لهذا العلم ودعوة المسلمين إليه، فتنتج مجتما يحاكي المجتمع العربي الأول، في الفهم والآداب والأخلاق، وجميع الصفات.

وبهذا أكون قد أتممت بحثي المتواضع، سائلا ربي أن يتقبل مني خالص الأعمال، وأن يوفقني إلى أفضل وأحسن من هذا، وأن يجازي كل من أعانني على كتابة هذا البحث، والصلاة والسلام على المعلَم من رب العالمين وسيد الخلق أجمعين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

أولا:فهرس الآيات القرآنية.

صدر الآية	السورة	الآية	الصفحة
وَمَا يُخَٰدِعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ	البقرة	09	76
ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ	البقرة	15	42
وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً	البقرة	51	88
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ	البقرة	114	102
إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَالدَّمَ	البقرة	173	89
وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ	البقرة	177	72
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ	البقرة	189	60
وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا	البقرة	187	41
يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ	البقرة	219	44
مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ	البقرة	255	103
ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ	آل عمران	44	65
وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُواْ بِهَا	الأنعام	97	59
قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ	الأنعام	151	71

عَلَيْكُمْۚ			
أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ	156	الإنعام	110
قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ	32	الأعراف	71
قُلِ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا	33	الأعراف	72
وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ	31	الأعراف	65
وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ	163	الأعراف	84
إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ	37	التوبة	41
هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا	05	يونس	59
تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ	49	هود	65
مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ	49	هود	110
إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۖ مَّا مِن	56	هود	44

دَآبَّةٍ			
فَلَمَّا رءآ أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ	70	هود	45
هُوَ ٱلذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً	12	الرعد	61
وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ	22	الحجر	60
وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ	16	النحل	59
إِنَّ ٱللَّهَ يَامُرُ بِالْعَدْلِ وَالِاحْسَـٰنِ	90	النحل	71
وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ	91	النحل	72
تَكُونُواْ كَالتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ	92	النحل	94
وَجَعَلْنَا ٱلَيْلَ وَالنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً	12	الإسراء	59
وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ	13	الإسراء	48
وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً	59	الإسراء	93
يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ	102	طه	94
وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَت ظَّالِمَةً	11	الأنبياء	85
وَالذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ	08	المومنون	72

وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ	النور	31	50
وَلَقَد ضَّرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ	الروم	58	68
وَاللَّهُ ٱلذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ	الإسراء	64	169
وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَـٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ	يس	39-40	59
كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ	الصافات	43	48
طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ	الصافات	65	111
وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَاناً اَعْجَمِيّاً لَّقَالُواْ لَوْلاَ فُصِّلَتَ	فصلت	44	101
وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّيئَةٍ سَيِّيئَةٌ مِّثْلُهَاۖ	الشورى	40	43
اَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ	ق	06	108
أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلذِے تَشْرَبُونَ	الواقعة	68	60
وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ	الواقعة	82	60
وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ	الملك	05	59
فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَـٰهُ أَخْذاً وَبِيلًا	المزمل	16	103

أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ	القيامة	34	111
وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجاً	النبأ	14	60
وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ	التكوير	09	109
وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ	المطففين	01	109
خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ	المطففين	26	42
قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ	البروج	04	94
فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ	القارعة	09	42

ثانيا: فهرسة الأحاديث.

الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي	زيد بن خالد الجهني	61
كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد	عمر رضي الله عنه	94
إن هذه الأقدام بعضها من بعض	عائشة أم المؤمنين	65
إقتسم الأنصار المهاجرين	زيد بن ثابت	113

ثالثا:فهرسة الأعلام.

العلم	الصفحة
ابن الجوزي:بدر الدين أبو القاسم علي	84
ابن العربي:أبوبكر محمد بن عبد الله الأندلسي	85
ابن مسعود: عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب	40
الجرجاني:علي بن محمد بن علي	32
الزبيدي:محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي	32
سلم بن عمر بن حماد	59
الشاطبي: أبو إسحاق ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي	37
الشافعي: محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع	34
عبد الله بن رواحة	59
قتادة: ابن دعامة بن قتادة بن عزيز	41

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم برواية ورش بالرسم المغاربي.

1. أحكام القرآن –القاضي محمد بن عبد الله ابن العربي – تحقيق : علي البجاوي – دار الجيل – بيروت – 1972م.
2. أباطيل وأسمار–محمود محمد شاكر،دط،مكتبة الخانجي القاهرة،1385هـ.
3. أحكام القرآن–لأبي بكر محمد بن عبد الله لابن العربي،تح:محمد عبد القادر عطا،ط3،دار الكتب العلمية بيروت،1424هـ/2003م.
4. أحكام القرآن– ابو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص،ت. محمد الصادق قمحاوي، دط،دار إحياء التراث العري بيروت لبنان،1412هـ/1992م.
5. أدب الكتاب–أبو بكر محمد بن يحيى الصولي–ت.محمد بهجت ومحمود شكري الآلوسي، دط، المطبعة السلفية مصر القاهرة،1341هـ.
6. الأدلة الإستئناسية عند الأصوليين–أشرف بن محمود بن عقلة الكناني،ط1،دار النفائس الأردن،1425هـ/2005م.
7. استدلال المفسرين بعادات العرب لمعرفة معاني القرآن الكريم "دراسة تطبيقية"–عبد الرحيم الشريف،مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الكويت ج28، العدد94،2013م
8. أسد الغابة في معرفة الصحابة–علي بن محمد الجزري المعروف بابن الأثير–ط1،دار ابن حزم،1433هـ/2012م.
9. الإعتصام–أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي–ت:محمود بن الجميل،ط1،دار الإمام مالك للكتاب الجزائر،1431هـ/2010م.
10. الأعلام قاموس التراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين– خير الدين الزركلي–ط15،دار العلم للملايين، بيروت لبنان،2002م.

11. الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده –ت: د.محمد عمارة–الطبعة 1–1414ه–1993م –دار الشروق.

12. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب–محمود شكري الآلوسي–ت:محمد بهجت الأثري،دط،دار الكتب العلمية.

13. البيان والتبيين–أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ–ت:علي بوملحم،دط،دار ومكتبة الهلال،بيروت لبنان،2002م.

14. البرهان في علوم القرآن – برهان الدين الزركشي – تحقيق مصطفى عطا – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1988م.

15. البلاغة فنونها وأفنانها – علم البيان والبديع – أ.د.فضل حسن عباس – دار الفرقان – عمان – ط6 – 2000م.

16. بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب – محمود الألوسي – عناية محمد بهجة الأثري – دار الكتب العلمية – بيروت – ط1 – 1314هـ.

17. تاج العروس من جواهر القاموس – محمد بن محمد الزبيدي – تحقيق: عبد العزيز مطر – دار الهداية للنشر – 1970م.

18. تاج العروس من جواهر القاموس–محمد مرتضى الحسني الزبيدي–ت:د.عبد العزيز مطر–ط2،1414هـ1994م،مطبعة حكومة الكويت

19. تاج اللغة وصحاح العربية–أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري،تح:محمد محمد تامر،دط،مطبعة دار الحديث القاهرة،1430هـ/2002م:

20. تأويل مشكل القرآن – عبد الله بن مسلم بن قتيبة – تحقيق: سيد أحمد صقر – دار التراث – القاهرة – ط2 – 1973م.

21. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد وتفسير الكتاب المجيد (الشهير بالتحرير التنوير) – محمد الطاهر بن عاشور – الدار التونسية للنشر – 1984م.

22. تحريف المصطلحات القرآنية وأثره في انحراف التفسير في القرن الرابع عشر – أ.د.فهد عبد الرحمان بن سليمان الرومي–ط1،مكتبة الملك فهد الرياض السعودية،1424هـ/2003م. .

23. تراجم المؤلفين التونسيين–محمد محفوظ–دار الغرب الإسلامي بيروت.لبنان–الطبعة الأولى:1982م–الطبعة الثانية:1994م.

24. تاريخ العرب القديم–الشيخ أحمد مغنية–ط1،دار الصفوة،بيروت لبنان1414هـ/1994م.

25. التعريفات – علي بن محمد الجرجاني – دار الكتب العلمية – بيروت – ط3 – 1988م.

26. تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن–أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري،ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1،1422هـ2001م،دار هجر،القاهرة

27. تفسير القرآن الحكيم (الشهير بتفسير المنار) – محمد رشيد رضا – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1990م.

28. تفسير القرآن العظيم – عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي – تحقيق: حسان الجبالي – بيت الأفكار الدولية – الرياض – ط1 – 1420هـ.

29. التفسير والمفسرون–د.محمد حسين الذهبي–د.ط–مكتبة وهبة.

30. ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن–الروماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني–ت:محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام،ط3،دار المعارف مصر.

31. جامع البيان – محمد بن جرير الطبري – دار الفكر – بيروت – 1405هـ.

32. الجامع لأحكام القرآن – محمد بن أحمد القرطبي – تحقيق: هشام سمير البخاري – دار عالم الكتب – الرياض – 1423هـ.

33. الجامع لأحكام القرآن الكريم-لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي،ت:محمد بيومي.عبد الله المنشاوي،ط2،مكتبة الإيمان.

34. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه-محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي-ت:محمد زهير بن ناصر الناصر،ط1،دار طوق النجاة،1422هـ.

35. حاضر العالم الإسلامي-لوثروب ستودارد-ت: شكيب أرسلان وعجاج نويهض-دار الفكر-دط- 1391ه1971م.

36. الدر المنثور في التفسير بالمأثور-جلال الدين السيوطي-ت:عبد الله بن عبد المحسن التركي،ط1، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية القاهرة،1424هـ/2003م.

37. درر الحكام شرح مجلة الأحكام-علي حيدرة-ت،فهمي الحسيني،طبعة خاصة،دار عالم الكتب، المملكة العربية السعودية،1423هـ/2003م.

38. دلائل الإعجاز القرآني-أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمد الجرجاني-ت:محمود محمد شاكر،دط، دار المعارف مصر.

39. دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير دراسة نظرية تطبيقية من خلال تفسير ابن جرير-عبد الحكيم بن عبد الله القاسم-رسالة ماجستير،كلية أصول الدين جامعة الإمام محمد بن سعود،1421هـ.

40. دلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية-سعد بن مقبل بن عيسى العتزي،رسالة ماجستير تخصص فقه وأصول،إشراف حمزة بن حسين الفعر،جامعة أم القرى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية قسم الدراسات العليا الشرعية شعبة الأصول المملكة العربية السعودية،1427هـ

41. دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام دراسة نظرية تطبيقية-فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي،رسالة ماجستير تخصص تفسير وعلوم

القرآن،إشراف محمد بن عمر بازمول،جامعة أم اقرىكلية الدعوة وأصول الدين قسم كتاب وسنة المملكة العربية السعودية،1426هـ/2005م

42. دور السياق في الترجيح بين الأقاويل التفسيرية-محمد إقبال عروي،ط1،الكويت،1428هـ/2007م

43. الرسالة –للامام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي،ت:أحمد محمد شاكر،دط،المكتبة العلمية بيروت لبنان.

44. رسالة في الطريق لثقافتنا-محمود محمد شاكر-دط، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1997م.

45. زاد المسير في علم التفسير-أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن محمد الجوزي،ط1،المكتب الإسلامي دار ابن حزم بيروت،1463هـ/2002م

46. السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي-المثنى عبد الفتاح محمود محمود، رسالة دكتوراه تخصص تفسير وعلوم القرآن،إشراففضل حسن عباس،جامعة اليرموك اربد الأردن،3ربيع الثاني 1426هـ/12أيار2005.

47. السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير-عبد الرحمان عبد الله سرور جرمان المطيري،رسالة ماجستير في التفسير وعلوم القرآن،إشراف خالد بن عبد الله القرشي،جامعة أم القرى كلية الدعوة وأصول الدين قسم الكتاب والسنة،1429هـ/2008.

48. سير أعلام النبلاء-شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي-ت:شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي،ط1،مؤسسة الرسالة،بيروت لبنان،1402هـ/1982م.

49. الشافعي-أبو زهرة،دط،دار الفكر الإسلامي.

50. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية-محمد مخلوف-دط،دار الفكر،بيروت لبنان.

51. شيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور – د.محمد الحبيب بن خوجة- الدار العربية للكتاب تونس-2008م.

52. عادات العرب القولية في ضوء القرآن الكريم-عبد الفتاح بن محمد أحمد خضر-مجلة البحوث والدراسات القرآنية،العدد السادس السنة الثالثة.

53. عادات عربية في ضوء القرآن الكريم – أ.د.عبد الفتاح محمد خضر – مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية – العدد الثالث – 1428هـ .

54. عالم الجن في ضوء الكتاب والسنة-عبد الكريم نوفان عبيدات-ط2،دار اشبيليا الرياض المملكة العربية السعودية،1419هـ/1999م.

55. علم الدلالة-أحمد مختار عمر،ط5،القاهرة،1998م.

56. عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم-أحمد شاكر-ت:أنور الباز،ط10،دار الوفاء مصر،1434هـ/2013م.

57. العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم- أبو بكر ابن العربي-ت:محمود مهدي استنبولي ومحب الدين الخطيب،ط6،منشورات مكتبة السنة القاهرة،1412هـ.

58. الفصل في الملل والأهواء والنحل-ابن حزم الظاهري-:عبد الرحمان خليفة،ط1 مطبعة محمد علي صبيح مصر،1347هـ.

59. الفصل في الملل والأهواء والنحل-أبي محمد علي بن أحمد ابن حزم،تح:أحمد شمس الدين،ط الثانية،دار االكتب العلمية بيروت،1420هـ/1999م.

60. فضل العرب والتنبيه على علومها-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري- ت:وليد محمود خالص،ط1،المجمع الثقافي، الإمارا العربية المتحدة،1998م.

61. القرآن والمبشرون-محمد عزة دروزة-ط2، المكتب الإسلامي بيروت،1399هـ/1979م.

62. القرآن والملحدون-محمد عزة دروزة-ط1،المكتب الإسلامي بيروت،1393هـ/1983م.

63. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية-حسين بن علي بن حسين الحربي-ت:مناع بن خليل القطان،ط1،دار القاسم الرياض 1417هـ/1996م.

64. الكتاب والقرآن قراءة معاصرة-محمد شحرور،دط،الأهالي للطباعة والنشر سورية دمشق.

65. كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ-محمد الطاهر بن عاشور،تح:طه بن علي بوسريح،ط1،دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة،1427هـ/2006م.

66. لسان العرب-جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور،دط،دار ومكتبة الهلال.

67. اللغة الشاغرة-عباس محمود العقاد،دط،نهضة مصر القاهرة،1995م.

68. اللغة والمعنى والسياق-جون ليتر-تر:عباس صادق الوهاب،مراجعة يونيل عزيز،ط1،بغداد،1987م.

69. مبلغ الإرب في فخر العرب-ابن حجر الهيثمي-ت:يسرى عبد الغني عبد الله-ط1،دار الكتب العلمية بيروت لبنان،1410هـ/1990م.

70. مجلة المنار-محمد رشيد رضا-مطبعة المنار-1315هـ.

71. المجموع شرح المهذب-أبو زكرياء محي الدين بن شرف النووي-ت:محمد نجيب المطيعي،دط،مكتبة الإرشاد، جدة المملكة العربية السعودية.

72. المجيد في إعجاز القرآن المجيد-ابن الخطيب الزملكان-ت:شعبان صلاح،ط1،دار الثقافة العربية القاهرة،1410هـ/1989م.

73. مداخل إعجاز القرآن – محمود شاكر-دط ،مطبعة المدني المؤسسة السعودية بمصر.

74. المدخل الفقهي العام- مصطفى أحمد الزرقاء- ط2،دار القلم دمشق ،1425هـ/2004م.

75. المستدرك على الصحيحين-أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري-ت:مصطفى عبد القادر عطا،دط، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

76. المستشرقون و القرآن دراسة لترجمات نفر من المستشرقين الفرنسيين للقرآن آرائهم فيه – د.إبراهيم عوض – دار القاهرة – القاهرة – ط1 – 2003م.

77. المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم-أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري-ت:أبو قتيبة نظر بن محمد الفاريابي،ط1،دار طيبة،الرياض،1427هـ/2006م.

78. المصنف- أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني-ت:نظير الساعدي،دط،دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان.

79. المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث-محمد أحمد أبو الفرج،دط،دار النهضة العربية،1966م

80. المعجم الأدبي-جبور عبد النور،ط2،دار العلم بيروت لبنان،1984م

81. معجم التعريفات-علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني،تح:محمد صديق المنشاوي،دن،دار الفضيلة القاهرة

82. معجم مقاييس اللغة –أبي الحسين أحمد ابن فارس بن زكرياء،تح:عبد السلام محمد هارون،دط،دار الفكر،1499هـ/1979م.

83. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام – د.جواد علي – دار الساقي – بيروت – ط4 – 2001م

84. مقاصد الشريعة الإسلامية – الطاهر بن عاشور – تحقيق : محمد الطاهر الميساوي – دار النفائس – ط2 – 2008م .

85. من أعلام الزيتونة:شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره-د.بالقاسم الغالي-دار ابن حزم-الطبعة الأولى 1417ه-1996م.

86. من مفاهيم القرآن في العقيدة والسلوك-محمد البهي-ط2،مكتبة وهبة القاهرة،1415هـ/1994م.

87. المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصراط المستقيم-شيخ الإسلام ابن تيمية-اختصره محمد ابن علي ابن محمد البعلي،ت:علي ابن محمد العمران،ط1،دار علم الفوائد مكة المكرمة،1422هـ.

88. الموافقات في أصول الفقه – إبراهيم بن موسى اللخمي الشهير بالشاطبي – تحقيق عبد الله درَاز – دار المعرفة – بيروت – (د/ت،ط).

89. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن-محمد عبد الله دراز،ت:عبد الحميد الدخاخني،ط1،دار طيبة المملكة العربية السعودية الرياض،1417هـ/1997م.

90. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن-محمد عبد الله دراز،دط،دار القلم الكويت.

91. نحو منهج لتفسير القرآن-محمد الصادق عرجون،ط3،الدار السعودية المملكة العربية السعودية،1399هـ/1979م.

92. نهاية الإرب في معرفة أنساب العرب-أبو العباس القلقشندي،ت:إبراهيم الأبياري،ط2،دار الكتاب اللبناني بيروت،1400هـ/1980م.

93. النهاية في غريب الحديث والأثر-مجد الدين أبي السعدات المبارم بن محمد الجزري ابن الأثير،ت:رائد بن صبري ابن أبي علفة،ط3،بيت الأفكار الدولية الأردن،2003م.

94. نيل الإبتهاج بتطريز الديباج-التنبكتي أحمد بابا-ط1،مطبعة السعادة،مصر القاهرة،1329هـ.

فهرسة الموضوعات:

الموضوع	الصحفة
إهداء	
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
فصل تمهيدي : التعريف بالطاهر بن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير".	02
المبحث الأول: الطاهر بن عاشور عصره وحياته.	03
المطلب الأول: عصره.	03
المطلب الثاني:حياته.	12
المبحث الثاني: التعريف بتفسير "التحرير والتنوير".	21
المطلب الأول: سبب تأليفه ومكانته العلمية.	22
المطلب الثاني: منهج تأليفه.	25
الفصل الأول : معهود العرب مفهومه وضوابطه.	32
المبحث الأول : مفهوم معهود العرب وأنواعه.	33
المطلب الأول: مفهومه عند الأصوليين والمفسرين.	33
المطلب الثاني: أنواع معهود العرب.	56
المبحث الثاني : ضوابط مراعاة معهود العرب.	72
المطلب الأول: مراعاة العرف اللغوي.	72
المطلب الثاني: مراعات السياق.	75
الفصل الثاني : الجانب النظري والتطبيقي في الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور	89
المبحث الأول :الجانب النظري في الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور.	90
المطلب الأول: مفهوم معهود العرب عند الطاهر بن عاشور وأثره في التفسير .	90

المطلب الثاني: الضوابط المنهجية للأخذ بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور .	103
المبحث الثاني : الجانب التطبيقي الاستعانة بمعهود العرب عند الطاهر بن عاشور	110
المطلب الأول: نماذج تطبيقية في تفسيري القرآن المكي	110
المطلب الثاني: نماذج تطبيقية في تفسيري القرآن المدني	116
الخاتمة	119
الفهارس	122
قائمة المصادر والمراجع	130
فهرسة الموضوعات	138

ملخص البحث :

يهدف هذا البحث إلى التعريف بالطاهر بن عاشور وتفسيره "التحرير والتنوير" ومحاولة بيان منهجه في مراعاة معهود العرب في فهم الكتاب والسنة، وبيان مدى ضرورة العلم والإحاطة بعادات العرب ومعرفة أيامها وأخبارها وأشعارها وإتقان لسانها لأجل الولوج إلى مضمار البحث في العلوم الشرعية وبالأخص تفسير القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية :

الطاهر بن عاشور، تفسير " التحرير والتنوير "، منهج مراعاة معهود العرب، عادات عربية زمن نزول الوحي.

ملخص البحث مترجم باللغة الفرنسية :

Résumé de la recherche :

Cette recherche vie à présenter la biographie de " Tahar BENACHOUR " et son exégère " TAHRIR ET TANWIR " et sa démarche tout entenant compte de traditions de arabes dans l'interprétation du coran et de la sunna elle vise également à monter l'importance de cerner le traditions des arabe, leur mode de vie, leur poésie et leur maitrise de la longue en vue de s'engager dans la recherche des sciences islamiques notamment l'exégère du coran. .

Mots clefs :

Tahar BENACHOUR, Tafsir " TAHRIR et TANWIR ", Méthodologie entretien des US arabes, traditions arabes au moment et à l'époque EL WAHY.

ملخص البحث مترجم باللغة الانجليزية :

Research Summary :

This research ains to define Tahar BENACHOUR, and his book "TAHRIR and TANWEER", attempting to schow and uncover his medthod, also the habits and traditions of arabs in understanding the Koran and Sunnah, also the necessity of knoweldge and awareness of their traditions, stories, diaries poetry and mastering the pure langage in order to get in the field of research in islamic sciences especially interpretation of Koran.

Key Words :

Tahar BENACHOUR, " TAHRIR and TANWEER " interpretation of Koran. Methodology of surveying the traditions and tongues of arabs, arabic tradition during the revelation (the messenger peace be up on him).